الفصل الثاني

شعراء مختارة

١ - أحمد رامى

٢ - بيرم التونسى

٣ - صلاح جاهين

٤ - مأمون الشناوى

٥ - أحمد شفيق كامل

٦ - عبدالفتاح مصطفى

٧ - عبدالوهاب محمد

٨ - مرسى جميل عزيز

٩ - عبد المنعم السباعى

١ أحمد رامى
شاعر الحب والشباب

على الرغم من أن شاعر الحب والشباب أحمد رامى كما أطلق عليه ذلك النقاد والمؤرخون.. يعتبر فى قائمة الشعراء المحترفين من الذين كتبوا أغانى لأم كلثوم بالعامية المصرية. إلا أن بداية تعامله مع سيدة القصيدة العربية فى عام ١٩٢٤ .. كان مع شعر الفصحى!!، وهذه ملاحظة على جانب كبير من الأهمية ومع ذلك لم يلتفت إليها أحد غيرنا، وبالتالى لم يعرها أحداً من الباحثين انتباهه الحسى أو البحثى.

لقد غنت أم كلثوم أولى قصائد أحمد رامى، وهو متغيب عن مصرحين كان فى بعثة فى فرنسا!، وهى بعنوان: «الصب تفضحه عيونه» من تلحين الشيخ أبو العلا محمد، وقد امتلأت الكتب والدراسات التى تناولت علاقة أم كلثوم بأحمد رامى بالحديث عن هذه القصيدة وعن بداية التعارف بين هذين العملاقين، وكذلك تناولها بالحديث أحمد رامى نفسه فى معظم أحاديثه الصحفية وكتاباته الخاصة.

وعلى الرغم من أننا اخترنا الشاعر أحمد رامى كعمدة الشعراء الذين تعاملت معهم أم كلثوم فى مجال شعر العامية .. فهو لم يفقد هذه الصفة عندما كتب لها أيضاً بعض القصائد الفصيحة، ولذلك فسوف نسوق كلمات قصيدة «الصب تفضحه عيونه».. ومن بعدها نستكمل حديث الشاعر المحترف أحمد رامى فى مجال الأغنية العامية، هذا الحديث الذى سوف يتطرق إلى نواح كثيرة وأسرار معروفة وغير معروفة عن علاقة أم كلثوم بهذا الشاعر الكبير وبدايات تعارف هذين العملاقين الكبيرين.

***

وتقول كلمات أول قصيدة تغنت بها سيدة القصيدة العربية للشاعر أحمد رامى وموظف دار الكتب آنذاك:

الصب تفضحه عيونه ... وتنم عن وجد شنونه
إنا تكتمنا الهوى ... والداء أقتله دفينه
يهتاجنا نوح الحمام ... وكم يحركنا أنينه
وتحمل القُبل النسيم ... فهل يؤديها أمينة
قست القلوب فهل ... لقلبك ياحبيبى من يلينه
فتريح قلباً مدنفاً ... أسوان لاتغفى شجونه
مرت عليه الذكريا ... ت فطال للماضى حنينه
وأنا نجيك والذى ... يقيك من ودى هتونه
وبى الذى بك ياترى ... سرى وسرك من يصونه؟!

***

وكما سبق وأشرنا فإن هذه القصيدة قد غنتها أم كلثوم فى عام ١٩٢٤ وهى من ألحان الشيخ أبو العلا محمد .. وسجلتها كوكب الشرق على أسطوانة جرامفون فى العام نفسه، ثم تحول أحمد رامى من بعد كتابتها وكتابة قصائد قليلة أخرى إلى العامية.

وتشير الدكتورة نعمات فؤاد إلى أن سبب تحول أحمد رامى بعد كتابة هذه القصائد لأم كلثوم من الشعر الفصيح إلى الأغانى العامية ، هو أم كلثوم نفسها والتى أقنعته بالانتقال من الشعر إلى الزجل..

وفى تعليق لطيف للكاتبة فيما يخص ما ذكره رامى نفسه عن هذا التحول قالت الدكتورة نعمات أحمد فؤاد : «ولا أحسب أن أم كلثوم فى ذلك الوقت كانت قادرة على إقناع شاعر بتحول فنى..ولكن المسألة فى تقديرى أن رامى وجد فيها صوتا واعداً وتذكر أن شوقى أمير الشعراء ألف الأغانى العامية وقبله إسماعيل صبرى. والأغنية جناح يطير بشهرة أصاحبها فاندفع بوحى من تفكيره وعاطفته الوليدة معها فى طريق الزجل، ولعل نفسه حدثته أن عبدالوهاب مغنى شوقى فلتكن هذه الفتاة ذات الصوت الجميل مغنيته – أى مغنية كلماته »[١].

***

وقد نظن أن الشاعر أحمد رامى قد قبل بسهولة التحول من شعر الفصحى إلى العامية وفق ما طلبت منه ذلك أم كلثوم .. بل بالعكس حيث أخذ سلطان القصيدة يسيطر

(١) أم كلثوم وعصر من الفن. د. نعمات أحمد فؤاد – مصدر سابق.

عليه فترة من الزمن وربما وصلت إلى عامين، بدليل أنه قدم لأم كلثوم ـ وحتى من بعد أن طلبت منه التحول فى عام ١٩٢٤ من القصائد الفصيحة إلى العامية ـ قصيدتين بالفصحى ..الأولى غنتها فى عام ١٩٢٥ بعنوان «إن حالى فى هواها عجب».. من ألحان محمد القصبجى، وسجلتها على أسطوانة جرامفون فى العام نفسه.

وقد أشارت إلى ذلك أم كلثوم نفسها فى أوراقها الخاصة حين ذكرت، «... فلما عدت من مصيف رأس البر اتصلت به - أى بأحمد رامى - وقلت له إن الجمهور يجب أن ينتقل من الأغانى المسفة التى يسمعها إلى القصائد والشعر العظيم على مراحل. فقال رامى: لكنى أعددت لك قصيدة «إن حالى فى هواها عجب».. قلت بعد أن قرأت كلماتها: تبدو فى كلماتها سهلة.. سوف أغنيها، ولكن أفضل أن تستعمل فى كلمات الأغانى ما هو سهل ومتداول.. ما يمكن أن يفهمه الناس دون عناء.. فقال باحتجاج: هو هو الذى يسمعه الناس الآن.. فقلت: أنا أريد خطوة أبعد، خطوة أوسع.. أريد لغة مثل لغة الصحف يفهمها الناس، فلا هى إسفاف.. ولا ألغاز..»

***

ولقد تصورت سيدةالقصيدة العربية أنها حققت بهذا القول أغراضها بشأن تحول رامى من الشعر الفصيح إلى العامية - ولكن سرعان ماخاب هذا التصور إذ كان شيطان الشعر الفصيح لايزال راكبا فوق قلب وعقل أحمد رامى ـ فقدم لها قصيدة ثالثة لكى تغنيها.. وقبلتها رغماً عنها، وهى القصيدة التى لحنها الشيخ أبو العلا محمد فى عام ١٩٢٦ بعنوان «أقصر فؤادى» كما قدم لها قصيدة رابعة بعنوان: «يقظة القلب» من تلحين الموسيقار محمد القصبجى وفى العام نفسه.

***

ونظراً لحالة الإعجاب المبكرة التى استولت على شاعرية أحمد رامى تجاه الآنسة أم كلثوم التى لم ترفض له كلمات قصائده.. رغم أنهاكانت عكس رغبتها!.. فقد استجاب لتلك الرغبة أخيراً وتحول تماماً إلى كاتب إغنية باللهجة العامية.. فقدم لها أول ما قدم مونولوجاً بعنوان «خايف يكون حبك».. من تلحين الدكتور أحمد صبرى النجريدى.

وتقول كلمات هذا المونولوج أو هذه الأغنية:

خايف يكون حبك فىّ شفقة على

وأنت اللى فى الدنيا ضى عينى

شفت إنى مغرم بهواك ولا بسلاك

راضى بجفاك وبرضاك خالص النية

صعبت ياروحى عليك وده يرضيك

مادام حياتى فى أيديك حن علىّ

أنا اللى عارف مقدارك وطايق نارك

وراضى غلبك ومرارك رقى شوية.

***

ومنذ أن كتب رامى هذه الكلمات العذبة التى ربما أراد أن يفتح من خلالها طريقاً طويلاً يعبر منه قلبه إلى قلب أم كلثوم ، ظل شيطان الشعر العامى مسيطراً عليه حتى كتب لأم كلثوم أكثر من مائة أغنية ما بين عاطفية ووطنية، وكان بين حين وآخر يكتب بعض القصائد بالفصحى.. خاصة فى المناسبات الوطنية، وأغنيات بعض الأفلام وفق ما يقتضيه السيناريو وشخصية الممثل !. وقد بلغ عدد هذه القصائد جميعها حوالى ست عشرة قصيدة ما بين نشيد ومناسبة وطنية ورثاء.

ولو جمعنا ما كتبه أحمد رامى لأم كلثوم على مدى رحلة حياته الطويلة والتى استغرقت أكثر من خمسن عاماً.. سواء بالفصحى أو بالعامية سوف نجده يصل إلى ١٣٥ أغنية مابين مونولوج ودور وقصيدة وإغنية.. وقد تصدى لوضع الألحان لهذا الكم الكبيرمن الأغنيات تقريبا كل ملحنى أم كلثوم بدءاً من الشيخ أبو العلا محمد وحتى محمد الموجى وسيد مكاوى مروراً بالشيخ محمد القصبجى وزكريا أحمد وداود حسنى ورياض السنباطى ومحمد عبدالوهاب.

***

وإذ كنا قد ذكرنا من قبل كلمات أولى القصائد التى تغنت بها سيدة القصيدة العربية من تأليف أحمد رامى.. وكذلك كلمات أولى أغنياته بالعامية . فقد رأينا من الضرورى الإشارة إلى كلمات آخر ما غنت أم كلثوم لأحمد رامى.

ففى عام١٩٧٢ وبالضبط فى الحفل الذى أذيع فى أوائل شهر إبريل من العام نفسه.. غنت أم كلثوم لأحمد رامى أغنيته المشهورة « يامسهرنى » . من تلحين الموسيقار الراحل سيد مكاوى..وكانت تلك أول وآخر أغنية يلحنها سيد مكاوى لكوكب الشرق ، كما كانت هذه الأغنية ذاتها من بين أخر ما غنت أم كلثوم قبيل رحيلها فى عام ١٩٧٥ ، حيث دخلت قبل هذه الفترة بأيام قليلة فى غيبوبة دائمة انتهت برحيلها.

وتقول كلمات الأغنية:

ماخطرتش على بالك يوم تسأل عنى ... وعنيه مجا فيها النوم يامسهرنى
وأنا قلبى بيسألنى أيه غير أحواله ... ويقول لى بأه ماخطرتش على باله
إمال غلاوة حبك فين ... وفين حنان قلبه علىّ
وفين حلاوة قربك فين ... فين الوداد والحنية
ياناسينى وأنت على بالى ... وخيالك مايفارق عينى
ريحنى وأعطف على حالى ... وأرحمنى من كتر ظنونى
لاعينى بيهواها النوم ... ولابخطر على بالك يوم

إسأل عنى يامسهرنى

إسال عن اللى يقضى الليل ... بين الأمل وبين الذكرى
يصبر قلب المشغول ... ويقول لى نتقابل بكره
وبكره يفوت وبعده يفوت ... ولاكلمة ولامرسال
وهو العمر فيه كام يوم ... وأنا بُعدك علىّ طال
ياناسينى وأنت على بالى ... وخيالك ما يفارق عينى
ريحنى وأعطف على حالى ... وأرحمنى من كثر ظنونى
لاعينىّ يبهواها النوم ... ولابأخطر على بالك يوم

إسأل عنى يامسهرنى

يامسهر النوم فى عينى ... سهرت أفكارى وياك
الصبر مش بإيديه ... والشوق واخدنى فى بحر هواك
أقول لروحى وأنا ذنبى إيه ... يقول لى قلبى حلمك عليه
مسيره بكره يعطف علينا ... وتبقى تعرف هجرنا ليه
ياناسينى وأنت على بالى ... وخيالك ما يفارق عينى
ريحنى وأعطف على حالى ... وارحمنى من كتر ظنونى
لاعينىّ بيهواها النوم ... ولابخطر على بالك يوم

تعالى .. خلى نسبم الليل　　على جناح الشوق يسرى
الهجر طال والصبر قليل　　والعمر أيامه بتجرى
طالت الأيام .. تعال لى قوام
دنا عندى كلام بدى أقوله لك　　ومنيش أيام ولا فى الأحلام
ياناسينى وأنت على بالى　　إرحمنى من قسوة قلبك
ريحنى واعطف على حالى　　خلينى أتهنى بقربك
وأنا عينى بيهواها النوم　　ولا أشكى ولاأقول لك يوم
إسأل عنى يامسهرنى

***

هذا عن الشعر والكلمات العذبة .. ورحلة أحمد رامى مع صوت أم كلثوم على مدى خمسين عاماً. فماذا عن سيرة حياة الشاعر نفسه ؟!.. إن هناك بالفعل عشرات من الكتب ومن الموضوعات الصحفية التى تحدثت وباستفاضة عن رحلة شاعرنا أحمد رامى فى الحياة منذ ميلاده وحتى يوم رحيله..ونحن هنا نقتبس من سيرته بعض لمحاتها ... لأجل أن تكتمل لدينا ولديكم الفائدة المرجوة.

فقد ولد الشاعر أحمد رامى حسن عثمان الكرتيلى، وهذا اسمه بالكامل وفق الأوراق الرسمية، فى شهر أغسطس من عام ١٨٩٢ ، فى مدينة القاهرة.

وإن كان المؤرخ والناقد الراحل محمد السيد شوشة قد أشار إلى أن يوم ميلاد أحمد رامى كان مجهولاً . وقيل فى ذلك أنه ولد فى أحد أيام شهر أغسطس من عام ١٨٩٨ !.

عاش أحمد رامى فترة طفولته وصباه بحى الناصرية بالسيدة زينب... وترجع أصوله إلى إحدى مدن اليونان حيث إن جده لأبيه هو الأميرالاى حسن عثمان الكرتيلى نسبة إلى جزيرة كريت اليونانية، وكان يعمل ضابطاً بالجيش العثمانى، وجاء إلى مصر مع عائلته فى عهد الخديوى إسماعيل.. أماجده لأمه السيدة فاطمة فهو الشيخ محمد الغزولى الذى كان يشغل منصب رئيس السجلات بالمحكمة الشرعية.

أما والد الشاعرأحمد رامى الذى كان يعمل ضابطاً طبيباً فهو الدكتور محمد رامى الذى تخرج من كلية الطب بعد ميلاد ابنه بعامين !. واسم أحمد رامى اسم مركب كما أن اسم أبيه أيضاً اسم مركب!.

نال أحمد رامى الشهادة الابتدائية فى عام ١٩٠٧ ، وهو فى سن الخامسة عشرة، ثم

التحق بعدها بالمدرسة الخديوية الثانوية، وحصل منها على شهادة البكالوريا فى عام ١٩١١.. وكان من المقرر وفق ميوله أن يلتحق بمدرسة الحقوق إلا أنه عدل عن هذه الرغبة والتحق بمدرسةالمعلمين التى تخرج منها فى عام ١٩١٤.. وبعدها التحق بالعمل مدرساً للترجمة بمدرسة المنيرة الابتدائية.. ، وفى عام ١٩٢١ اختير للعمل فى وظيفة مساعد أمين مكتبة بمدرسة المعلمين العليا ، كما أختير للسفر فى بعثة علمية فى عام ١٩٢٣ لمدة عامين فى فرنسا.، ومن هناك عاد حاملاً دبلومين عاليين الأول فى فن تنسيق الوثائق والمكتبات من جامعة السربون والثانى فى اللغةالفارسية.

ارتبط الشاعر أحمد رامى منذ شبابه بالشعر الذى أجاد تأليفه منذ الصغر وأخذ ينشر هذه القصائد فى الصحف والمجلات.. مما لفت إليه أنظار المغنين فى عصره فكانوا يقبلون على الشدو بكلماته. حتى أن إحدى قصائده المنشورة بالصحف آنذاك كانت بداية تعارفه على أم كلثوم.. ولقد ظل أحمد رامى يكتب الشعر بالفصحى والعامية حتى أخريات حياته.

٢ محمود بيرم التونسى

الشاعر الذى يكتب فى السياسة!

كانت أم كلثوم تعيش دائما فى قلب الأحداث.. رغم انشغالها بأمور الفن والألحان .. وهى لم تنفصل أبداً فى يوم من الأيام عن هذه الأحداث أو متابعة تفاصيلها والوقوف على نتائجها.

ليس هذا فقط.. بل وكانت سيدة القصيدة العربية تتابع أيضاً نشاط بعض السياسيين وبعض الأدباء من الذين أوقفوا كلماتهم لأجل الكفاح ضد الملك وضد الإنجليز.

وكان محمود بيرم التونسى على رأس هؤلاء الأدباء من الذين أشعلوا نار الوطنية وحماس الشعب من خلال ماكان ينشره من أزجال فى الصحف والمجلات. الأمر الذى أدى به فى النهاية إلى مصير النفى والخروج من مصرمغضوباً عليه/.

ولم تكن أم كلثوم بعيدة عن ذلك الحماس المنقطع النظير الذى زرعه بيرم التونسى داخل الصدور بماكان يكتبه وينشره من حين إلى حين ..وقد أخذت تعد نفسها لاستقبال كلمات هذا الثائر لكى تغنيها ..وتخرج من صوتها بالألحان..

ومما يحكى فى هذا السياق.. أن سيدة القصيدةالعربية هى التى سعت للقاء بيرم التونسى والتعامل مع كلماته . فقد طلبت فى يوم من الأيام من ملحنها المفضل آنذاك الشيخ زكريا أحمد وصديق بيرم التونسى فى الوقت نفسه أن يعرفها على ذلك الشاعر الذى كان يكتب فى السياسة !.

وبالفعل التقت أم كلثوم مع بيرم فى عام ١٩٤١ .. حيث أخذ يكتب لها الأغنيات العاطفية والوطنية، بل وشارك كذلك فى كتابة كل ماغنته فى فيلميها «سلامة» الذى مثلته فى عام ١٩٤٤ «وفاطمة» الذى مثلته فى عام ١٩٤٧ ، وقد وصل عدد ماكتبه بيرم التونسى لأم كلثوم طوال فترة تعاملهما حوالى ٣٢ أغنية.

***

وفى تصور الدكتورة رتيبة الحفنى أن سبب لجوء أم كلثوم لبيرم التونسى خاصة خلال

فترة الحرب العالمية الثانية ليكتب لها أغنياتها .. هو أن أم كلثوم الذكية أدركت أن نهوض رامى بالعبء وحده مهمة صعبة.. وأنها لابد من أن تواكب التطور، وتتجة بأغانيها إلى كلمات شعبية إلى حد ما .. تساير الزمن وتعجب الجمهور. ولم يكن أمامها إلا الزجل.. وفى الحرب العالمية الثانية حينما أثرت الطبقة الشعبية من التجارة، تطلعت هذه الطبقة بحكم الثراء إلى حضور حفلات أم كلثوم، فوجدت أم كلثوم أن هذه العقلية لايناسبها إلا كلمات الزجل.. وشخصية بيرم التونسى، فأقبلت على فارس هذا الميدان وغنت له العديد من الأغانى فى الفترة مابين عامى ١٩٤٢، ١٩٥٠ أى سنوات الحرب وما تلاها.(١).

وعلى فكرة فإننى أسجل هنا معارضتى الشديدة لما قالته سابقاً الدكتورة رتيبة.. ذلك لأن بيرم التونسى .. ! قد أُعجب بكلماته أغنياء الحرب من الفقراء ومن غيرهم ، كماكتب كلمات - وهذا ليس تحيزاً - فيها نغمة العاطفة والوطنية أعلى بكثير مما كتبه أحمد رامى، بل وكان بيرم فوق ذلك أكثر تأثراً بالأحداث الوطنية والسياسية.. والتى عبر عنها خير تعبيرمن خلال ماكتبه من أغان عديدة..

***

ومن المصادفات العجيبة أن بيرم التونسى بدأ حياته الأدبية شاعراً للفصحى تماماً مثله فى ذلك مثل أحمد رامى، وان لم تغن له أم كلثوم هذه القصائد ، وكتابنا عن «بيرم وشوقى» فيه الكثير عن هذه البدايات.

وعلى أية حال فقد أصبح كل ما يعنينا من حياة بيرم الأدبية.. خاصة فوق هذه الأوراق هو مشاركته فى كتابة اغنيات لسيدة القصيدة العربية.

هذه المشاركة التى بدأت بناء على رغبة أم كلثوم فى عام ١٩٤١، وبواسطة ملحنها المفضل آنذاك زكريا أحمد.

وقد كتب بيرم التونسى لأم كلثوم فى هذا العام وحده أغنيتين الأولى بعنوان : «أنا وأنت» والثانية بعنوان «إيه أسمى الحب».

وكانت هاتان الأغنيتان بداية تعامل طويل مع أم كلثوم دام حتى من بعد رحيل بيرم التونسى نفسه وامتد إلى عام ١٩٧٢.

---

(١) أم كلثوم - رتيبة الحفنى - مصدر سابق

وأما بالنسبة لكلمات الأغنية الأولى.. فقد قال فيهامحمود بيرم التونسى:

أنا وانت... أنا وأنت

أنا وأنت

كل من يعشق ياعذابه ... فى الهوى ترميه مقاديره
وانقضى المكتوب ولانابه ... غير عذاب يخطر فى ضميره
صبح ويبات متألم شاكى ... ويبات ويصبح حيران باكى
واللى نال عهده والزمان ... ساعده وانكتب سعده

أنا وأنت

كل من يعشق يامراره ... من أساه وجواه وجروحه
إن صبر يصبر على ناره ... وأن بكى يبكى على روحه
لا الدمع يطفى النار فى ضلوعه ... ولا الأمل نالله بدموعه
اللى فى حبه نالها ... واتمنى وانتشى وغنى

أنا وأنت

قول لى أنا وأنت وأنا أقول لك ... تانى أنا وأنت واكمل لك
الغرام غنوة أنغامها ... بس أنا وأنت نفهمها
إللى سمع يسمع على قده ... واللى فهم يفهم على قصده

واللى أنشأها واللى غناها ... وفق معناها

أنا وأنت

لما أنا وانت غنينا ... غنت الدنيا حوالينا
والنغم من بدعه وحسنه ... أسكر البلبل على غصنه
والغرام جنة وقصورها ... لى أنا وأنت وزهورها
إللى يسقيها واللى يرويها ... واللى يجنيها.. أنا وأنت

ولقد لحن هذه الأغنية الموسيقار الشيخ زكريا أحمد. كما وضع أيضاً ألحان الأغنية الثانيةوالتى شدت بها أم كلثوم بعنوان «إيه أسمى الحب» والتى تقول كلماتها:

إيه أسمى الحب أنا ما أعرفش ... دا باينه شىء ما يتوصفشى
ناس يقولوا الحب دايجنن ... كل قاسى القلب ويطمن
ويقولوا لنا ناس دايجنن ... وكلام الاتنين مايكدبشى

إيه أسمى الحب أنا ما أعرفش

وقالوا لنا الحب دا بلوه ... تسرقنا سكرته الحلوه

ودواء الصبر يا السلوى وعلى الاتنين أنا ما أقدرشى

إيه أسمى الحب أنا ما أعرفش

إيه أقول والحب دا يحير من ساعة لساعة بتغير

أهو مره صبر بيمرر وأهو مره حلو أنا مانكرشى

إيه أسمى الحب ما أعرفش

إيه أقول عالحب ياأخواننا اللى بيقولو عليه جنه

ما فتحنا بابها ودخلنا ولقينا شىء ولابيلومشى

إيه أسمى الحب أنا ما أعرفش

إيه أقول عالحب آه يانى اللى تشعل نار فى شوانى

قد إيه لوعنى وكوانى على عينى وبرضه أنا مابتوبشى

إيه أسمى الحب أنا ما أعرفش

ما أقدرش أقول قولوا أنتم اللى داق الحب مبين منكم

وفرحكم وألا حزنكم أحتار أنا وألا أنا ما احترشى

إيه أسمى الحب أنا ما أعرفش

***

وبعد هاتين الأغنيتين التى قدمهما بيرم التونسى لأم كلثوم.. ولحنهما زكريا أحمد تواصل اللقاء والتعاون بين هؤلاء الفرسان الثلاثة.. فأخرجوا لنا روائع الكلمات وأعذب الألحان ، ومما هو ملاحظ فى سياق الحديث عن هذا التعاون الفنى.. أن محمود بيرم التونسى كان دائماً مايحرص على تقديم أكثر من عمل فنى لأم كلثوم فى العام الواحد.. وكذلك كان كثيراً ما يجتهد فى إخراج هذه الأعمال فى أحسن صورها اللحنية الموسيقار الراحل زكريا أحمد الذى يرجع إليه الفضل الأكبر فى تهذيب النفوس والأذواق بكلمات هذا الزجال والشاعر العبقرى.

ولقد سبق لنا القول بأن بيرم التونسى لم يوقف إنتاجه فى مجال الأغنية مع أم كلثوم على نوع معين .. بل كتب لها سيناريو وأغانى فيلمين غنائيين ..وكان الموسيقار زكريا أحمد يحرص هو الاخر على تلحين هذه الأعمال الفنية بما يليق بمستوى كلماتها .

***

وفى أحد التصريحات الصحفية لأم كلثوم ذكرت أن الشيخ زكريا أحمد قد استأثر

وحده بتلحين كلمات بيرم التونسى. إلا فى الفترة التى دب فيها الخلاف بين أم كلثوم وزكريا أحمد ، لكننا وبالعودة إلى سجل أغنيات أم كلثوم اكتشفنا أن رياض السنباطى قد لحن هو الآخر لأم كلثوم من كلمات بيرم التونسى العديد من الأغنيات والتى كان آخرها أغنية «القلب يعشق كل جميل». والتى شدت بها أم كلثوم بعد سنوات من رحيل بيرم التونسى.

ولأجل أن نذكر كل المتابعين معنا فوق هذه الأوراق .. بقيمة ماكتبه بيرم التونسى لأم كلثوم، ومدى أهمية هذه الكلمات فى عالم الشعر والموسيقى، كان علينا ضرورة أن نستعرض بعض عناوين هذه الأغنيات وتواريخ ظهورها من خلال صوت أم كلثوم!

فقد كتب بيرم التونسى أغنيات «الأمل» فى عام ١٩٤٦ ولحنها الشيخ زكريا أحمد..«والأولة فى الغرام» فى عام ١٩٤٤ و«الحب كده» من تلحين رياض السنباطى و«الورد جميل » فى عام ١٩٤٦ و«أنا فى أنتظارك» فى عام ١٩٤٣ و«أهل الهوى» من تلحين زكريا أحمد أيضاً فى عام ١٩٤٤ وأغنية «آه من لقاك» فى عام ١٩٤٣.

ومما لاحظناه فى سياق هذاالحديث أن موسم عام ١٩٥٠ - ١٩٦٠ قد شهد قمة التألق فنياً سواء لأم كلثوم أو لبيرم أو لزكريا أحمد.. وحتى من بعد رحيل بيرم التونسى حرصت أم كلثوم على تقديم أعماله الغنائية والتى كان آخرها وكما ذكرنا من قبل أغنية «القلب يعشق كل جميل» والتى غنتها أم كلثوم فى موسم عام ١٩٧٢ وهى من تلحين الموسيقار رياض السنباطى .

ولاننسى أن ننوه هنا أيضاً إلى أن بيرم التونسى قد أحرز موقعاً متقدماً من الاهتمام خاصة فى مجال الأغنية الوطنية.. وبشكل خاص فى فترة ما بعد ثورة ١٩٥٢ .. ويكفيه شرفاً أنه يرجع إليه الفضل فى الترويج لأسماء الرؤساء فى أغانى المطربين والمطربات، بعد ما استطاع أن يجعل من اسم جمال عبدالناصر أغنية فوق الشفاة يرددها الناس فى كل مكان!، كما اعتمدت عليه أم كلثوم وبشكل خاص فى التقرب لزعماء ما بعد الثورة من خلال ماكان يكتبه عنهم وعن إنجازاتهم سواء بالشكل المباشر أو غير المباشر!.

***

وإذاكنا من قبل قد نوهنا عن أولى الأغنيات التى كتبها بيرم لأم كلثوم، وحرصنا على

كتابة نصوصها.. فها نحن نحقق الخطوة نفسها مع آخر ما غنته أم كلثوم لهذا الشاعر الزجال الكبير، وهى أغنية «دعانى لبيته» والتى تقول كلماتها:

القلب يعشق كل جميل ... وياما شفت جمال ياعين
واللى صدق فى الحب قليل ... وأن دام يدوم يوم ولا يومين
واللى هويته .. اليوم ... دايم وصاله دوم
لا يعاتب اللى يتوب ... ولا فى طبعه اللوم
واحد مفيش غيره ... ملا الوجود نوره
دعانى.....لبيته ... لحد باب .. بيته
ولما تجلالى ... بالدمع تاجيته

***

كنت أبتعد عنه ... وكان ينادينى
ويقول مسيرك يوم ... تخضع لى .. وتجينى
طاوعنى .. ياعبدى ... طاوعنى أنا .. وحدى
أنا اللى أعطيتك ... من غير ماتتكلم
وأنا اللى علمتك ... من غير ما تتعلم
واللى هديته إليك ... لو تحسبه بإيديك

تشوف جمايلى عليك

من كل شىء .. أعظم ... سلم لنا ... تسلم
دعانى لبيته ... لحد باب بيته
ولما تجلالى ... بالدمع تاجيته

***

مكة وفيها جبال النور ... طالة على البيت المعمور
دخلنا باب السلام ... غمر قلوبنا السلام

بعفو رب غفور

فوقنا حمام الحمى ... عدد نجوم السما
طاير علينا يطوف ... إلوف تتابع إلوف

طاير يهنى الضيوف ... بالعفو والمرحمة
واللى نظم سيره ... واحد مفيش غيره
دعانى لبيته ... لحد باب بيته

ولما تجلالى بالدمع ناجيته

***

جينا على روضة هالة من الجنة
فيها الأحبة تنول كل اللى تتمنى
فيها نور على نور وكاس محبة يدور

واللى شرب ... غنى

وملايكة الرحمن كانت لنا.. ندمان
بالصفح والغفران جايه تبشرنا
ياريت حبايبنا يقولوا ما نلنا
يارب توعدهم يا رب وأقبلنا
دعانى لبيته لحد باب بيته
ولما تجلالى بالدمع ناجيته

ويبدو أن هذه الأغنية كان قد كتبها بيرم التونسى فى عام ١٩٤٦ .. وظلت فى مخيلة أم كلثوم لأكثر من عشرين عاماً.. خاصة بعدما سمعت ذلك اللحن الشجى الذى كان قد وضعها لها الموسيقار زكريا أحمد.. وغناها بصوته فى العام نفسه ١٩٤٦ ..

كما يبدو من توقيت الشدو بها أن أم كلثوم سيدة القصيدة العربية أرادت أن تختتم حياتها الفنية بمناجاة الله سبحانه وتعالى، وهذه الأغنية مسجلة على أسطوانة صوت القاهرة فى عام ١٩٧٢ .. وهى من ألحان الموسيقار رياض السنباطى.

***

ولسنا فى حاجة إلى أن نؤكد لكم أن صاحب الذكرى الزجال والشاعر بيرم التونسى .. قد حفلت بسيرة حياته العديد من الكتب والمقالات التى نقلت أحداثها إما مما سجله هو بنفسه فى مناسبات عديدة واما على سبيل الاجتهادات العلمية والنقدية.

وها نحن هنا سوف نعيد نشر ما قيل عن بعض لمحات من سيرة حياة بيرم التونسى الذى غادر دنيانا فى ٥ يناير من عام ١٩٦١ ، وكان قد وصل إلى هذه الدنيا فى عام ١٨٩٣ !.

ويقول بيرم عن يوم ميلاده:«أنا من مواليد عام ١٨٩٣ ، ومسقط رأسى مدينة الإسكندرية.. أما المنزل الذى ولدت فيه فيقع فى الميناء الشرقى خلف مسجد البوصيرى» .

ويضيف : «جئت إلى الدنيا، ثم جاءت من بعدى أخت واحدة انتقلت بسرعة إلى رحمة الله» .

دخل بيرم التونسى ككل أطفال عصره كتاب الشيخ «جاد الله» بمنطقة رأس التين بالإسكندرية، ولم يستمر به إلا أشهر قليلة بسبب قسوة هذا الشيخ المعمم، وحرصاً من والده على استمراره فى مشوار التعليم أرسله إلى مسجد الشيخ المرسى أبى العباس حيث كان هناك معهداً دينى يتردد عليه غالبية أبناء تجار هذا الحى ..

بعدها التحق بيرم بالمدرسة الابتدائية وهو فى سن السابعة، ولكنه لم يستمر فى مراحل التعليم .. وأخذ يثقف نفسه بنفسه.

وهو يقول عن ذلك: «وبعد سنتين من التحاقى بالمدرسة فوجئت بموت أبى وكان أول شىء فعلته بعد موته أننى امتنعت عن الذهاب إلى المدرسة ، وكنت قد أجدت القراءة والكتابة».

***

واصل بيرم التونسى حياة الضياع والصعلكة من بعد موت أبيه فأخذ يعمل فى التجارة.. ولم ينس أبداً أن يثقف نفسه بعد ما اكتشف ميله الشديد للأدب خاصة قول الشعر، ومنذ بداية مشواره داخل حياتنا الأدبية اصطدام بيرم بالأوضاع السياسية والاجتماعية التى كانت سائدة خاصة فى أيام حكم الملك فؤاد، مماعرضه للنفى خارج مصر لأكثر من مرة.

ولقد صهرته هذه التجارب وجعلت منه شاعراً استخدم كلماته فى الدفاع عن حقوق وطنه، وفى عام ١٩٣٨ استقر بيرم نهائياً فى مصر بعد رحلة نفى استمرت عشرات السنين قضاها بين ربوع فرنسا!، وبالتالى أخذ يعد نفسه لاستعادة مكانته الأدبية خاصة فى مجال الزجل كما التفت إلى أعماله خاصة الغنائية لمعظم مطربى وملحنى عصره .. وأخذ يكتب الزجل، والشعر وينشره فى الصحف والمجلات التى كان يعمل بها.. حتى أن صحيفة الأهرام.. نشرت له قصيدة فى صدر صفحاتها الأولى.. وكان لها الفضل الأكبر فى حصوله على العفو الملكى وإعادة حياة الاستقرار له فى مصر.

كما ترك لنا بيرم التونسى ثروة أدبية كبيرة سواء فى مجال الزجل أو القصة أو المقالات الصحفية أو المقامات الأدبية .. وكما سبق وذكرنا فقد تناول غيرنا من الدارسين والباحثين بالحديث المفصل هذا التراث.. وما ذكرناه كان مجرد لمحة خاطفة تناسب مقام وجوده فوق هذه الأوراق.

٣ صلاح جاهين
شاعر الوطنية والثورة!

أثبتت الوقائع والأحداث.. أن شاعرنا صلاح جاهين والذى اشتهر بكونه رسام كاريكاتير وممثلاً أكثرمن كونه شاعراً، يعتبرمن شعراء المناسبات الوطنية .. سواء بالنسبة لأم كلثوم أو بالنسبة لزميلها عبدالحليم حافظ .. حيث تأثر صلاح جاهين كثيراً بفترة يوليو عام ١٩٥٢ ، وكذلك ما تلاها من أحداث سياسية وعسكرية ساخنة امتدت حتى عام ١٩٥٦ !.

كما نستطيع أن نؤكد فى السياق نفسه أن صلاح جاهين وكلماته الوطنية الحماسية ، قد صادفت هوى فى نفس سيدة القصيدة العربية التى كانت تبحث فى فترة الخمسينيات خاصة بعد ثورة يوليو عن طوق نجاة من الغرق فى بحر النسيان؛ خاصة بعد ما ظهر من نوايا لبعض رموز العهد السياسى الجديد باعتبارها من مخلفات العصر الملكى الواجب التخلص منه !، وبذلك انضم صلاح جاهين إلى زميله بيرم التونسى فى حمل لواء الدعوة والدعاية لنظام الثورة ، وتأكيد ذاتية ووجود أم كلثوم داخل الأحداث الجديدة!.

وهذا ليس معناه انتقاصاً من شاعرية صلاح جاهين ..بل بالعكس فقد ظهرت تلك المقدرة على صياغة كلمات شعبية خفيفة.. عبرت فى حينها عما كان يعانيه الناس فى الشوارع ، خاصة من الطبقات الفقيرة والمتواضعة!

وإذا كان بيرم التونسى قد اخترع فكرة الاحتفال بأسماء الرؤساء والزعماء فى أغنيات المطربين.. وأولهم أم كلثوم .. فإن الفضل فى استمرارية هذا الاختراع يرجع أساسا إلى عبقرية صلاح جاهين، وامتلاكه ناصية الكلمات الوطنية والحماسية شديدة التأثير على الجماهير!.

ولسوف يتأكد هذا المعنى فى النفوس وفى العقول المتابعة لناعبر هذه الأوراق،عندما نتوقف سويا أمام المحطات الوطنية التى ألهبت خيال صلاح جاهين وأخرجت من داخله هذه المعانى الوطنية والحماسية غير المسبوقة.

***

وكما هو واضح من خلال كلمات صلاح جاهين.. فإنه كان يتقن دغدغة المشاعر والأحاسيس.. خاصة فى المناسبات الوطنية الحاسمة.. وقد برز دوره فنياً وأدبياً فى مرحلة من أخطر مراحل حياة ثورة يوليو . بل وحياة مصر كلها عندما تعرضت البلاد لغزو عسكرى ثلاثى فى عام ١٩٥٦ ..

ولم يتوقف كفاحه بالكلمات عند حدود حنجرة أم كلثوم .. بل شارك هووزميله الملحن كمال الطويل فى بعث صوت وطنى جديد هو المطرب عبد الحليم حافظ الذى كان هو الاخر وفى الفترة نفسها يبحث عن مكان أو مكانة فنية تساهم فى تثبيت وجوده داخل دائرة الفن!.

***

وجاء موعد أول تعامل فنى مع صلاح جاهين .. حين طلبت أم كلثوم أن تغنى له نشيد «والله زمان يا سلاحى» والذى وضع ألحانه كمال الطويل ، وهو النشيد الذى غنته سيدة القصيدة العربية فى يوليو عام ١٩٥٦ .. ثم سجلته على أسطوانة صوت القاهرة. كما اتخذت منه الثورة نشيداً وطنياً لمصر خلال الفترة نفسها، وقد ظل هذا النشيد قابعاً فوق شفاه كل المصريين سواء فى المناسات أو فى غيرالمناسبات حتى مشارف عام ١٩٧١ ..حين تم تغييره بنشيد وطنى آخر هو «بلادى .. بلادى» .

ويقول صلاح جاهين فى هذا النشيد:

والله زمان ياسلاحى — اشتقت لك فى كفاحى
انطق وقول أنا صاحى — ياحرب والله زمان
والله زمان ع الجنود — زاحفه بترعد رعود
حالفه تروح لمر تعود — إلا بنصر الزمان
هموا وضموا الصفوف — شيلوا الحياة ع الكفوف
ياما العدو راح يشوف — منكم فى نار الميدان

يامجد يامجدنا
ياللى انبنيت عندنا
بشقانا وبكدنا
عمرك ماتبقى هوان

الشعب بيزحف زى النور — الشعب جبال الشعب بحور
بركان غضبان بركان بيفور — زلزال بيشق لهم فى القبور

***

ولقد اتضح لنا من خلال الاطلاع على أوراق ديوان صلاح جاهين أن هذا النشيد أجريت عليه بعض التعديلات .. كماحذفت منه بعض الأبيات.. وهى الأبيات التى يقول فيها صلاح جاهين وجاءت فى نهاية النشيد:

لجل السلام والأمل والحياة شيلنا السلاح ورعانا الإله

نناضل.....نناضل

نناضل بعزم وإيمان

أقسم بوحدة بلادى وبثورتى وجهادى
ما يعود على الأرض عادى ما يسود غير الإنسان

***

وفى نفس توقيت اختيار أم كلثوم لكلمات النشيد الأول لصلاح جاهين.. كلفت الموسيقار رياض السنباطى لكى يلحن لها نشيد «الله معك» من تأليف صلاح جاهين أيضاً، وكان مواكباً تقريبا لأحداث عام ١٩٥٦ نفسها، وما صاحبها من اعتداءات بريرية على مصر فى ذلك الوقت، هذا النشيد غنته أم كلثوم فى عام ١٩٥٦ وكذلك سجلته على أسطوانة صوت القاهرة فى التوقيت نفسه.

وتقول كلمات هذا النشيدة:

راجعين بقوة السلاح راجعين نحرر الحمى
راجعين كما رجع الصباح من بعد ليلة مظلمة
جيش العروبة يابطل الله معك ماأعظمك ما أروعك ما أشجعك
مأساة فلسطين تدفعك نحو الحدود حول لها الألام بارود فى مدفعك
الله معك وكل حر شريف غيور وياك وجنبك فى لهيب المعركة
والنصر لك مهما العدو ساق الغرور ومهما ساق المسكنة وألا اشتكى
غاصب لعين فى كل دين

ودى فلسطين العرب

فى كل خطوة معتدين الأرض تتفجر غضب
يغضب نسيم البحر والأمواج تثور ياشعب مصر يا منصور

الله معك

***

وتأثراً بأحداث تأميم قناة السويس ونجاح المصريين فى إدارة القناة بعد انسحاب الموظفين الأجانب.. انفعل صلاح جاهين بهذا الحدث الهام.. فكتب أغنية اسمها «زفة» وغنتها أم كلثوم فى عام ١٩٥٧ تحت عنوان «محلاك يامصرى».

وعن انفعال صلاح جاهين بهذا الحدث الوطنى الكبير كتب الأديب أحمد زيادة يقول: «وبعد هذا التغنى بعظمة المصريين، ومباهاة الأجانب بهم، يتحول الغناء للرجال السمر الشاربين من النيل الذين جاهدوا حتى ظفروا بالنصر، وفرضوا صور مصر على أحداث الدنيا وأجبروا كل البشر على تحيتهم فى أى ميناء، وتستلهم الفرحة أحداث الماضى وما يحمله من جراح لم يمسحها إلا النصر، وتمكن المصريين من حقهم فى إدارة شريان الحياة بين السويس وبورسعيد، واستقبالهم لكل العابرين من شرق الدنيا وغربها، هذه الزفةوهذه الفرحة صاغها صلاح جاهين فى كلمات بسيطة تشربتها روح كل مصرى وتغنت بها» (١).

وعندما عزمت سيدة القصيد العربية على التغنى بهذه الأغنية كلفت الموسيقار محمد الموجى لكى يضع لحناً مناسباً لها.. وخرجت الأغنية معبرة فى وقتها عن فرحة شعبية غامرة.. بسبب رحيل الأجانب ونجاح المصريين فى إدارة قناة السويس.

وتقول كلما هذه الأغنية:

محلات يامصرى وأنت ع الضفة — والنصرة عاملة لى القنال زفة
يا أهل مصر تعالوا ع الضفة — شاوروا لهم وغنو لهم وقولوا لهم
ريسنا قال ما فيش محال — راح الدخيل وابن البلد كفى
حيوا الرجال السمر فوق السفينة — حيوا اللى جاهدوا عشان يفرح وادينا
يا أهل مصر تعالوا ع الضفة — شاوروا لهم وغنولهم وقولوا لهم
ريسنا قال ما فيش محال — راح الدخيل وابن البلد كفى

***

أنا قلبى فاكر لسه مين اللى جرحه — ولولا يوم النصر ما اتلم جرحه
شفت القنال فى أيدين رجال من بلادى — رفرف عليهم قلبى من كتر فرحه
يا أهل مصر تعالوا ع الضفة — شاوروا لهم وغنولهم وقولوا لهم
ريسنا قال ما فيش محال — راح الدخيل وابن البلد كفى

***

(١) صلاح جاهين - ١٩٣٠ - ١٩٨٦ تأليف أحمد زيادة.

حبايبنا شرق وغرب جايين بلادنا والورد والياسمين هدية ولادنا
ونسيمنا بالأحضان مقابل رايانهم وقنالنا يحكى لهم حكاية جهادنا
يا أهل مصر تعالوا ع الضفة شاوروا لهم وغنولهم وقولوا له
ريسنا قال ما فيش محال راح الدخيل وابن البلد كفى

وبالرجوع إلى ديوان صلاح جاهين الذى نشر به هذه الأغنية اكتشفنا وجود عدة تغيرات أدخلتها أم كلثوم والملحن محمد الموجى على كلمات هذه الأغنية .. ومن أهم هذه التغيرات .. أن أم كلثوم اختارت كلمة «يا أهل مصر» . فى البيت الذى قالت فيه:

يا أهل مصر تعالوا على الضفة شاوروا لهم وغنولهم وقولوا لهم

وذلك بدلاً من كلمتى «يا ولاد بلدنا» .. التى كان قد كتبها صلاح جاهين فى الأغنية نفسها. كما أسقطت أم كلثوم من هذه الأغنية بيتاً قال فيه صلاح جاهين:

نظرت لنا الدنيا وشافت عملهم مدحت بكل لسان على كل مينا

وفى البيت الذى قالت فيه أم كلثوم:

حبايبنا شرق وغرب جايين بلادنا والورد والياسمين هدية ولادنا

غيرت فيه كلمة «هدية ولادنا» بدلاً من كلمة «هدية بلادنا»

***

والشاعر صلاح جاهين وكما سبق القول .. هو مجموعة مواهب كانت تتحرك فوق الأرض ..وتسير حيث كان يمشى.. ويكفينا هنا أن نسوق للتدليل على ذلك ما قاله الموسيقار الكبير محمد عبدالوهاب حين عرف برحيل صلاح جاهين . حيث قال :«لم نفقد صلاح جاهين، بل فقدنا بموته ٢٠ فناناً، ومنهم الرسام والشاعر والساخر والزجال والقصص والممثل والسيناريست» .

***

ولد صلاح جاهين فى ٢٥ ديسمبر من عام ١٩٣٠ فى محافظة سوهاج، وتلقى علوم الابتدائية فى مدرسة أسيوط ثم درس فى قنا، قبل أن يتوجه بشكل نهائى إلى الرسم والشعر. وصلاح جاهين اسمه وفق الإجماع محمد صلاح الدين حلمى الشهير بصلاح جاهين ، وقد اختار اسم جاهين لأنه اسم جد من أجداده، وهو حفيد الصحفى الثائر أحمد حلمى.

وعندما انتهى صلاح جاهين من دراسته الثانوية ألحقه والده بكلية الحقوق لكى يتخرج

ويعمل فى سلك القضاء مثل والده المستشار بمحكمة الاستئناف، إلا أن صلاح جاهين لم يطق دراسة القانون فالتحق بالقسم الحر بكلية الفنون الجميلة ،ومع ضغط الأسرة عاد صلاح من جديد إلى كلية الحقوق ليرضى رغبة والده، وفيها وصل إلى السنة الثالثة، ومع ذلك تركها ليعود من جديد إلى كلية الفنون الجميلة،واشتغل بالرسم فى الصحف والمجلات ثم سافر إلى السعودية وعمل هناك فى جريدة الرياض ثم عاد إلى القاهرة ليعمل رساماً للكاريكاتير فى مجلة القاهرة، وكانت هذه الخطوة هى بداية تعامله مع الصحافة سواء على مستوى فن الكاريكتير أو فن الشعر والزجل.

بدأ مشوار صلاح جاهين مع الشعر فى عام ١٩٥٥ بقصيدة نشرها بعنوان «الشاى واللبن» ثم واصل رحلته الشعرية التى أثمرت عن ستة دواوين، كان أخرها الرباعيات، وشارك صلاح جاهين إلى جانب ذلك فى كتابة عشرات الأغنيات خاصةالوطنية لكبار المطربين بخلاف أم كلثوم.

كما ساهم فى كتابة سيناريوهات والتمثيل فى أربعة أفلام سينمائية وكذلك عدة مسرحيات وأوبريتات غنائية.. كان من أشهرها أوبريت «الليلة الكبيرة».

وهو أول رسام يحصل على وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى فى عام ١٩٦٥، كما ارتبط صلاح جاهين سواء فى مجال الرسوم أو الأشعار بأحداث ثورة يوليو عام ١٩٥٢، وظل مرتبطا بهاوبزعميها حتى وقوع نكسة عام ١٩٦٧!، هذه النكسة التى أثرت على حياته وأصابته بنوع من الاكتئاب الذى جر عليه هموم الأمراض، والتى كان أخرها مرض انسداد فى شرايين القلب والذى مات بسببه فى عام ١٩٨٦.. عن عمر يناهز السادسة والخمسين.

٤ مأمون الشناوي

عندما رفض إجراء التعديل

ربما يكون الشاعر الغنائى الراحل مأمون الشناوى ، أول من يعترض من شعراء أم كلثوم على إجراء أية تعديلات على كلمات قصائده!، وفق ما كانت تطالب به هذه الفنانة العظيمة.

ولقد مر بنا من قبل حكاية عشرات الشعراء سواء من المصريين أو العرب القدامى أو المحدثين.. من الذين استسلموا لإرادة أم كلثوم الحديدية، ووافقوا فوراً على إجراء ما طلبته من تعديلات، لم تتوقف عند حد إضافة كلمة بدلاً من أخرى ، بل تعدى ذلك إلى تغيير فى بعض الأبيات سواء من حيث الإضافة أوالحذف!

وصلابة موقف الشاعر مأمون الشناوى وتمسكه بعدم إجراء أية تغييرات لفظية أوعبارية على كلمات قصائده.. تسبب فى تأخير تعامله مع صوت سيدة القصيدة العربية ما يقرب من عشرين عاماً!!

وبصرف النظر عن صواب أوخطأ هذا الرأى سواء من جانب أم كلثوم أو من جانب مأمون الشناوى، فقد نجح الأخير فى إقناع مطربين آخرين بالتغنى بكلماته دون تعديل وفق ما أعلنه هو فى العديد من أحاديثه الصحفية!.

وقد ظل النجاح يلاحقه من خلال الروائع الغنائية التى قدمها لهؤلاء المطربين خاصة لفريد الأطرش ، كما ظل حلم صوت أم كلثوم ممزوجاً بالألحان ، يلاحقه أيضاً فى السر وفى العلن حتى استسلم بعد أربعة وعشرين عاماً لرأى أم كلثوم ووافق على اجراء ما طلبته من تعديلات على أغنيته الأولى «أنساك»!، وهى الأغنية الرائعة التى كتبها الشاعر «مأمون الشناوى» وغنتها أم كلثوم فى عام ١٩٦٠!.

ولقد أشار إلى عناد الشاعر مأمون الشناوى خاصة مع أم كلثوم الناقد الفنى الكبير الراحل جليل البندارى الذى قال فى إحدى مقالاته: «والشاعر الذى رفض الاستجابة لرأى شاعرة الحب والجمال، إما أن يكون مجنوناً وإما أن يكون مغروراً..» .

وأكد جليل البندارى فى المقالة ذاتها أن مأمون الشناوى قد اعترف له بأنه كان

برفضه هذا يعد بالفعل مجنوناً .. ولقد عبر عن ذلك بقوله «وقال لى واحد من شعرائها وهو مأمون الشناوى » لو لم أكن مجنوناً ومغروراً لتغنت أم كلثوم بشعرى منذ عشرين عاماً».(١)

***

ورغم هذا الجنون والغرور الذى اتصف به شاعرنا مأمون الشناوى فيما يخص علاقته والشعر مع سيدة القصيدة العربية فقد تغنت بكلمات أربعة أغنيات على جانب كبير من الأهمية من حيث المعنى والأسلوب والإبداع، وذلك فى فترة بلغت أقل من عشر سنوات.. ولولا هذه الصفات التى أطلقها زميلنا الكبير الراحل الأستاذ الجليل البندارى كالصواريخ تجاه مأمون الشناوى وقبول الأخير تلك الصفات لتغنت أم كلثوم بكلماته أكثر من ضعف هذا العدد، خاصة إذا ما عرفنا أن شاعرنا الراحل الكبير مأمون الشناوى كان قد عرض على أم كلثوم فى عام ١٩٤٤ أولى قصائده الغنائية وهى كلمات أغنية: «حبيب العمر» .. وقد أرادت إجراء بعض التعديلات على بعض كلماتها، فرفض مأمون الشناوى وتمسكت أم كلثوم بوجهة نظرها، وعلى الفور أعطاها إلى الملحن والمطرب فريد الأطرش الذى تغنى بها كأروع أعماله غناء ولحناً !.

وتكرر السيناريو نفسه مرة ثانية مع أغنيته الشهيرة «الربيع» - التى أعطاها أيضاً للفنان فريد الأطرش !.

وفى عام ١٩٥٥ .. أى بعد تسع سنوات قدم مأمون الشناوى لأم كلثوم أغنية ثالثة وهى أغنية «كلمنى عن بكره» ، وكانت أم كلثوم خلال هذه الفترة قد انشغلت بالعدوان الثلاثى على مصر .. فلحنها كمال الطويل للمطربة نجاة الصغيرة!!

وفى عام ١٩٥٧ .. تقدم مأمون الشناوى بتجربته الأخيرة لأم كلثوم عساها أن تقتنع بوجهه نظره.. فكتب لها أغنية «أنساك» .. ، وبعد عدة مداولات ولقاءات اقتنع مأمون الشناوى بوجهة نظر أم كلثوم خاصة عندما طلبت منه إدخال تعديلات على هذه الأغنية، وظلت هذه المداولات قائمة على قدم وساق بين الشاعر وبين أم كلثوم طوال ثلاث سنوات.. حتى استقر الأمر فيما بعد وخرجت أغنية «أنساك ياسلام» .. من تلحين الموسيقار بليغ حمدى فى ثالث لقاء من ألحانه مع سيدة القصيدة العربية.

أما عن كلمات هذه الأغنية فهى كما غنتها أم كلثوم:

(١) جريدة أخبار اليوم فى ٣١/١٠/١٩٦٤

أنـــســـــاك .. ده كـــلام　　أنـــســـــاك .. يـــا ســـلام
أهـودة إلـلـى مـش ممـكـن أبـداً　　ولا أفـكـر فـيـه أبـداً
ده مـسـتـحـيـل قـلـبـى يـمـيـل　　ويـحـب يـوم.. غـيـرك أبـداً

أهـو ده الـلـى مـش ممـكـن أبـداً

ولا لـيـلـة ولايـوم... أنـا دقـت الـنـوم ... أيـام حـبـك

كـان قـلـبـك فـيـن وحـنـانـك　　فـيـن كـان فـيـن قـلـبـك
أنـا أنـسـى جـفـاك وعـذابـى　　مـعـاك مـانـسـاش حـبـك
أنـســـاك... ده كـــلام　　أنـــســـاك يـــا ســـلام
وأحـب تـانـى لـيـه　　وأعـمـل فـى حـبـك إيـه
ده مـسـتـحـيـل قـلـبـى يـمـيـل　　ويـحـب يـوم غـيـرك أبـداً

أهـو ده الـلـى مـش ممـكـن أبـداً

ذكـريـات حـبـى وحـبـك مـانـسـاهـاش　　هـى أيـامـى الـلـى قـلـبـى فـيـهـا عـاش
فـيـهـا أحـلامـى قـلـتـهـا وحـقـقـتـهـا لـى　　فـيـهـا أحـلامـى لـسـه أنـا مـا قـلـتـهـاش
إلـلـى فـات مـن عـمـرى　　كـان لـك مـن زمـان
والـلـى بـاقـى مـنـه　　جـاى لـك لـه أوان
وأحـب تـانـى لـيـه　　وأعـمـل فـى حـبـك إيـه
ده مـسـتـحـيـل قـلـبـى يـمـيـل　　ويـحـب يـوم غـيـرك أبـداً

أهـو ده الـلـى مـش ممـكـن أبـداً

كـان لـك مـعـايـا أجـمـل　　حـكـايـة فـى الـعـمـر كـلـه
سـنـيـن بـحـالـهـا مـافـات　　جـمـالـهـا عـلـى حـب قـبـلـه
سـنـيـن ومـرت ذى　　الـشـوانـى فـى حـبـك إنـت
كـل الـعـواطـف الـحـلـوة بـيـنـا　　كـانـت مـعـايـا حـتـى فـى خـصـامـنـا
وإزاى تـقـول أنـسـاك وأنـحـول　　وأنـا حـبـى لـك أكـتـر مـن الأول
وأحـب تـانـى لـيـه　　وأعـمـل فـى حـبـك إيـه
ده مـسـتـحـيـل قـلـبـى يـمـيـل　　ويـحـب يـوم غـيـرك أبـداً

أهـو ده الـلـى مـش ممـكـن أبـداً

***

ويحدثنا المؤرخ والكاتب الصحفى الراحل جليل البندارى عن أهم التعديلات التى طلبتها أم كلثوم من مأمون الشناوى خاصة بالنسبة لهذه الأغنية فيقول:

«فى عام ١٩٥٧ كتب مأمون الشناوى أغنية ثالثة لأم كلثوم وقال لها: هذه ثالث أغنية اكتبها لك والثالثة تابتة!

وكانت كلمات هذه الأغنية تبدأ هكذا:

إيـــاك فـــاكـــرنـــى أحـــب تـــانـــى
وأحـــب إمـــنـــى وأنـــت الـــلـــى عـــارف
أول وآخـــــــر الحـــــــب إنـــــــت
دمـعـى وابـتـسـامـى شـوقـى وحـنـانـى
كـــل الـــعـــواطـــف وهـــبـــتـــهـــا لـــك
لـــــــك وحـــــــدك انـــــــت
وأحـب تـانـى لـبـه وأقـول لـقـلـبـى إيـه
هـــو الـــلـــى حـــبـــك يـــحـــب تـــانـــى!

وقرأت أم كلثوم الأغنية وقالت: هذا دخول فى الموضوع بلا مقدمة، يعنى الرواية بتبتدى من الفصل الثانى. وعندما دخلت هذه الأغنية فى مرحلة التنفيذ أمسكت أم كلثوم بالمشرط وأخذت تستأصل بأصابع الجراحة الماهرة على حد قول جليل البندارى - الكلمات الزائدة، فاستأصلت من الأغنية مثلاً هذه الكلمات:

إن كان ده خصـام　　على العين والراس
الصـلـح جمـيل　　والنـاس للنـاس

وفى هذه الأثناء - والكلام أيضاً لايزال على لسان جليل البندارى - كتب مأمون الشناوى الفصل الأول أو مقدمة الأغنية هكذا:

أنـــســـاك يـــا ســـلام　　أنـــســـاك ده كـــلام
أهـو ده الـلـى مـش ممـكـن أبـداً　　ولا أفـكـر فـيـه أبـداً

ونحن نضيف إلى ما سبق وذكره أستاذنا جليل البندارى.. بخصوص هذه الأغنية.. أن الشاعر الكبير مأمون الشناوى، قد أجرى تعديلات أخرى كثيرة على هذه الأغنية.. وربما كان قد أعاد صياغتها مرة أخرى حتى خرجت بالشكل الذى ارتضته أم كلثوم.. وعانقت كل الأذان بهذه الروعة التى أبدع من خلالها موسيقاها بليغ حمدى.

***

وبعد نجاح «أنساك يا سلام» كتب مأمون الشناوى رائعته الثانية لام كلثوم وهى أغنية «كل ليلة وكل يوم» من ألحان بليغ حمدى أيضاً الذى وجه نفسه وموسيقاه مع كلمات مأمون الشناوى . وتقول مقدمة هذه الأغنية :

كل ليلة وكل يوم أسهر لبكره ... فى انتظارك يا حبيبى
فكرى طول الليل فى ليلك والنهار ... كله فى نهارك يا حبيبى
ياترى يا وحشنى بتفكر فى مين ... عامل إيه الشوق معاك
عامل إيه فيك الحنين

ودون الدخول فى تفاصيل البحث عما أجرته أم كلثوم من تعديلات .. نكاد نجزم أن هذه الأغنية أيضاً قد خضعت لمشرط أم كلثوم.. من حيث الشطب والتعديل والتبديل .. ولكن للأسف لم نعثر على هذه التعديلات التى كثيراً ما يخفيها الشاعر ولايتحدث عنها إلا للأصدقاء المقربين!

***

وفى عام١٩٦٥ .. تغنت أم كلثوم بثالث أعمال مأمون الشناوى وهى أغنية «بعيد عنك حياتى عذاب» وهى من تلحين بليغ حمدى أيضاً..

وبعد هذا التاريخ بخمس سنوات غنت أم كلثوم آخر روائع مأمون الشناوى.. ففى عام ١٩٧٠ وبالضبط فى الحفل الذى أقامته يوم الخميس ٥ مارس فى عام ١٩٧٠ غنت كوكب الشرق أغنية ..«ودارت الأيام» من تلحين الموسيقار محمد عبد الوهاب .

وفى هذه الأغنية يقول «مأمون الشناوى » من خلال صوت أم كلثوم.

ودارت الأيام ومرت الأيام ... مابين بعاد وخصام
وقابلته نسيت إنى خاصمته ... ونسيت الليل اللى سهرته
وسامحت عذاب قلبى وحيرته ... ما أعرفش إزاى أنا كلمته
ماأقدرش على بعد حبيبى ... أنا ليّه مين اللى حبيبى
قابلنى والأشواق فى عينيه ... سلم وخد إيدى فى إيديه
وهمس لى قاللى الحق عليه ... نسيت ساعتها بعدنا ليه
فين دموع عينى اللى مانامت ليالى ... بايتسامه من عيونه نساها لى

أمر عذاب وأحلى عذاب ... عذاب الحب للأحباب
ما قدرش أصبر يوم على بعده ... دا الصبر عايز صبر لوحده
ما قدرش على بعد حبيبى ... أنا ليه مين إلا حبيبى
وصفوا لى الصبر لقينه خيال ... وكلام فى الحب يا دوب ينقال
أهرب من قلبى أروح على فين ... لياليا الحلوة فى كل مكان
مليناها حب إحنا الاتنين ... ومليناها الدنيا أمل وحنان
عينى ع العاشقين ... حيارى مظلومين ع الصبر مش قادرين
ما أقدرش أصبر يوم على بعده ... دا الصبر عايز صبر لوحده
ماأقدرش على بعد حبيبى ... أنا ليه مين إلا حبيبى

ودارت الأيام..... ومرت الأيام

وهل الفجر بعد الهجر ... بلونه الوردى بيصبح
ونور الصبح صحى الفرح ... وقال للحب قوم نفرح
من فرحنى تهت مع الفرحة ... من فرحنى لابنام ولابصحى
ولقتنى معاه بعيش ... فى ربيع مفيش كده
بين شوق ماينتهيش ... وشوق تانى إبتدا
ما أقدرش أصبر يوم على بعده ... دا الصبر عايز صبر لوحده
ما أقدرش على بعد حبيبى ... أنا ليه مين إلا حبيبى

***

ولاشك أن كلمات رقيقة كالتالى مرت علينا من قبل .. إنما تدل دلالة واضحة على أننا نتعامل مع شاعر أجاد فن الكلمة بعدما أجاد من قبل فنون أخرى كان على رأسها الفن الصحفى الذى مارسه من قبل فن الشعر.

وعلى فكرة فقد بدأ شاعرنا مأمون الشناوى حياته الفنية شاعراً وزجالاً. ثم كتب أيضاً الأغنية الفصيحة. وقد بلغ إنتاجه فى هذا الميدان الحيوى أكثر من ألف أغنية ماعدا ذلك النشيد الذى كتبه لمحمد عبدالوهاب فى عام ١٩٤٠. وهو «نشيد الجهاد»، ذلك النشيد الذى كتبه بالفصحى.

وحين نفتح كتاب حياة هذا الشاعر الكبير لنقف على بعض ماجاء فيه من لقطات سواء عن الحياة أو الموت.. نعرف أن مأمون الشناوى ولد فى ٢٨ يناير عام ١٩١٤ .. واسمه بالكامل محمد مأمون الشناوى . وكان الميلاد فى حى السيالة بالإسكندرية وهو الحى نفسه الذى ولد فيه من قبل الزجال العظيم بيرم التونسى .

بدأ مأمون الشناوى حياته العملية صحفياً فى مجلة روزاليوسف فى عام ١٩٣٦ وظل بها حتى عام ١٩٣٨ . بعدها انتقل للعمل صحفيًا بمجلة أخر ساعة من عام ١٩٤٥ وحتى عام ١٩٦٠ عندما انتقل إلى جريدة أخبار اليوم ثم إلى جريدة الجمهورية التى ظل يعمل بهاحتى تفرغ لتأليف الأغانى فى عام ١٩٦٢ .

كتب مأمون الشناوى كلمات أكثر من ألف أغنية للعديد من المطربين من أمثال محمد عبدالوهاب ونجاةالصغيرة وفايزة أحمد وعبدالحليم حافظ وآخرين، وكان قد بدأ تعامله مع شعر الأغانى منذ شبابه الأول حين غنى له المطرب محمد صادق.. بعد ماكتب ٥ أغانى فى فيلم «عصافير الجنة» وكلمات أغانى فيلم «يوم سعيد،» وغيره من الأفلام الغنائية والاستعراضية ، وقد رحل عن عالمنا فى عام ١٩٩٤ ، بعد رحلة قصيرة مع المرض ! وكان عمره آنذاك يناهز الثمانين عاماً.

٥ أحمد شفيق كامل

إنت عمري وأمل حياتي

يكفي هذا الشاعر فخراً أنه كتب للأغنية العربية والوطنية أشهر ما تغنى به كبار المطربين المصريين والعرب، وعلى رأسهم كل من محمد عبد الوهاب، وعبد الحليم حافظ، وآخرين..

وكلنا بطبيعة الحال لا يزال يتذكر تلك الأغنية الوطنية أو تلك الأنشودة الرائعة التي تغنت بها كل الشعوب العربية في حينها، ونقصد بها أغنية «وطني الأكبر»!

وكذلك لا زلنا نتذكر لهذا الشاعر الكبير أحمد شفيق كامل أغنية «خلي السلاح صاحي» وأغنية «مطالب شعب» والتي عبر من خلالها عن آمال وطموحات شعب تمسك بأعمال قائده حين وقف وراءه بعدما أعلن عن تأميم قناة السويس في عام ١٩٥٦!

كما يكفي الشاعر الكبير أحمد شفيق كامل فخراً.. أنه صاحب إحدى العلامات المضيئة في حياة سيدة القصيدة العربية أم كلثوم.. حيث تحقق على يديه ومن خلال كلماته ذلك اللقاء التاريخي الذي انتظرناه عشرات السنين بين موسيقار الأجيال محمد عبد الوهاب وسيدة الغناء العربي أم كلثوم.. وقد جمع بينهما لقاء السحاب في عام ١٩٦٤.. عندما تغنت أم كلثوم بكلمات أغنية «إنت عمري»!

وبصرف النظر عما قيل بشأن تحقيق هذه الخطوة.. سواء بشأن تدخل الرئيس جمال عبد الناصر لإتمامها كما أشيع أو غير ذلك.. فقد تم فعلاً ذلك التعاون الفني الجبار بين عملاقين أحدهما في الموسيقى والآخر في الغناء، وكان مسرح العمليات على حد تعبير رجال القوات المسلحة هو حنجرة أم كلثوم التي أبدعت أغنية «أنت عمري» كما فتحت الباب على مصراعيه لمزيد من التعاون بين عبد الوهاب وأم كلثوم سواء في مجال الأغنية العاطفية والوطنية!

ويعتبر الشاعر الغنائي أحمد شفيق كامل من الشعراء القلائل الذين لا يفرطون بسهولة في كلمات أغنياتهم.. وبالتالي فقد ارتطم بعدة مواجهات مع أم كلثوم عندما

كانت تريد تغيير بعض الكلمات.. وهو فى ذلك يشبه إلى حد بعيد شاعرنا الراحل مأمون الشناوى الذى تسبب أداؤه التشبثى بخصوص تغيير كلمات أغانيه فى تأخير تعامله مع أم كلثوم عشرات السنين، ولقد سبق لنا أن بينا ذلك عندما تحدثنا من قبل عن مأمون الشناوى كشاعر من شعراء أم كلثوم!

أما بخصوص تعامل الشاعر أحمد شفيق كامل مع أم كلثوم فقد غنت له أربع أغنيات فى فترة أقل من عشر سنوات!! .. الأغنية الأولى «إنت عمرى» فى عام ١٩٦٤، والثانية فى عام ١٩٦٥، وهى أغنية «أمل حياتى»، وبعد هذا التاريخ بست سنوات عادت أم كلثوم لتغنى لأحمد شفيق كامل أغنيته الثالثة «الحب كله» من تلحين بليغ حمدى الذى خالف بذلك ما كانت تنوى عليه أم كلثوم من تخصيص موسيقى محمد عبد الوهاب لكلمات أحمد شفيق كامل. ولكنها سرعان ما عادت إلى ما عزمت عليه من قبل فتم اللقاء الثالث بين عبد الوهاب وأحمد شفيق كامل واللقاء الرابع لأم كلثوم مع كلمات أغنية «ليلة حب».

***

ونظراً لما تحتله أغنية «إنت عمرى» من مكانة عالية سواء فى قلوبنا أو فى مسيرة أم كلثوم الفنية. فقد فضلنا أن نسوق كلماتها، مع البحث عما كان قد أصابها من تغيير رغم أنف الشاعر!.

وتقول كلمات هذه الأغنية:

رجعونى عنيك لأيامى اللى راحوا — علمونى أندم على الماضى وجراحه
اللى شفته قبل ماتشوفك عينيه — عمر ضايع يحسبوه إزاى علىّ

إنت عمرى اللى ابتدى بنورك صباحه

قد إيه من عمرى قبلك راح وعدى — يا حبيبى قد إيه من عمرى راح
ولا شاف القلب قبلك فرحة واحدة — ولا داق فى الدنيا غير طعم الجراح
ابتديت دلوقتى بس أحب عمرى — ابتديت دلوقتى أخاف لا العمر يجرى
كل فرحة اشتاقها من قبلك خيالى — التقاها فى نور عينيك قلبى وفكرى
يا حياة قلبى يا أغلى من حياتى — ليه ما قابلنيش هواك يا حبيبى بدرى
اللى شفته قبل ما تشوفك عينيه — عمر ضايع يحسبوه إزاى علىّ

اللـيالـى الحـلـوة والـشـوق والمحـبـة — مـن زمـان والـقـلـب شـابـلـهـم عـشـانـك
دوق مـعـايـا الحـب دوق حـبـة بـحـبـة — من حـنـان قـلبى اللـى طـال شـوقه لحـنانك
هات عـنيك تـسرح فى دنيتهم عـينيه — هـات إيـديك تـرتـاح لـلـمـسـتـهـم إيـديا
يا حـبيبى تـعـالى وكـفـاية اللـى فاتنا — هـو فـاتـنـا يـا حـبـيـب الـروح شـويـة
اللـى شـوفـتـه قـبـل مـا تـشـوفك عـيـنـيه — عـمـر ضـايـع يـحـسـبـوه إزاى عـلـى

إنت عمرى اللى ابتدى بنورك صباحه

يـــا أغـــلـــى مـــن أيـــامـــى — يـــا أحـــلـــى مـــن أحـــلامـــى
خـدنـى لحـنـانـك خـدنـى — عـن الـوجـود وابـعـدنـى
بـعـيـد بـعـيـد أنـا وانـت — بـعـيـد بـعـيـد وحـدينـا
عـالحـب تـصـحـى أيـامـنـا — ع الـشـوق نـنـام لـيـالـيـنـا
صـالحـت بـيـك أيـامـى — سـامـحـت بـيـك الـزمـن
نـسـتـنـى بـيـك آلامـى — ونـسـيـت مـعـاك الـشـجـن
رجـعـونى عـنـيك لأيـامـى اللـى راحـوا — عـلـمـونى أنـدم عـلـى المـاضى وجـراحـه
اللـى شـفـتـه قـبـل مـا تـشـوفـك عـيـنـيه — عـمـر ضـايـع يـحـسـبـوه إزاى عـلـى

إنت عمرى اللى ابتدى بنورك صباحه

وقد شدت أم كلثوم برائعة أحمد شفيق كامل يوم الخميس ٥ فبراير عام ١٩٦٤.. وحضر الحفل جميع رجال الحكومة وعلى رأسهم جمال عبد الناصر.

وفى حوار صحفى نُشر مع الشاعر أحمد شفيق كامل فى عام ١٩٩٩.. أى بعد مرور أكثر من خمسة وعشرين عاماً على ظهور الأغنية بصوت أم كلثوم تحدث الشاعر عن ذكرياته وعن أول لقاء له مع أم كلثوم وكيف قبل على مضض ما طلبته أم كلثوم من تغييرات طفيفة على كلمات أغنيته الأولى «إنت عمرى»!

قال أحمد شفيق كامل عن هذه الذكريات:

«فى بداية علاقتى بأم كلثوم سمعت عن تغييرها فى كلام الشعراء الذى تغنيه، وكنت متأكداً من هذه المشكلة وأنها سوف تواجهنى، فاستعنت بالله على مواجهتها رغم علمى بقدر نفسى جيداً..، وكانت أغنية «إنت عمرى» التى اشتهرت بلقاء السحاب لأنها أول عمل يجمع بين كوكب الشرق ومحمد عبد الوهاب، وأذكر أن مطلع الأغنية كان:

فطلبت أم كلثوم تغييرها إلى: «رجعونى عنيك لأيامى اللى راحوا» وكان هناك مقطع آخر يقول: «من حنان قلبى اللى بيشابى حنانك» فغيرته إلى: «من حنان قلبى اللى طال شوقه لحنانك»(١).

***

وفى عام ١٩٦٥، أى بعد عام واحد من أغنية «إنت عمرى» قدم أحمد شفيق كامل أغنيته الثانية «أمل حياتى» .. والتى لحنها أيضاً محمد عبد الوهاب:

وهذه الأغنية تقول مطلعها:

أمل حياتى يا حب غالى ... ما يتنسيش
يا أغلى غنوة سمعها قلبى ... ولا تتنسيش
خد عمرى كله بس ... النهاردة خلينى أعيش

خلينى جنبك .. فى حضن قبلك.
وسيبنى أحلم .. يا ريت زمانى .. ما يصحنيش
أمل حياتى .. عينيه .. يا أغلى منى علىّ

وهى أغنية طويلة ولم تغير فيها أم كلثوم كلمة واحدة وفق ما أكده الشاعر أحمد شفيق كامل حين قال: «وفى اللقاء الثانى معها من خلال أغنية «أمل حياتى» قلت لها لو تكرمت لابد أن يكون عندك ثقة فيما أكتب فأنا حريص جداً على العمل الذى يقدم «وبردون» التخصص فى الكلمة، تخصصى أنا، فأعطنى الثقة وجربينى كما فعلت فى «إنت عمرى» وبالفعل لم تكن هناك كلمة زائدة أو ناقصة فى أمل حياتى».

***

وفى عام ١٩٧١ أسندت أم كلثوم الأغنية الثالثة التى ألفها الشاعر أحمد شفيق كامل بعنوان «الحب كله» إلى الملحن الجديد آنذاك بليغ حمدى. وقد غنتها أم كلثوم فى الحفل الذى أقيم مساء الخميس الموافق ٧ يناير عام ١٩٧١.

(١) أخبار النجوم - ١١ ديسمبر ١٩١٩.

ويقول الشاعر أحمد شفيق كامل فى مطلع هذه الأغنية:

الحب كله حبيته فيك.. الحب كله — وزمانى كله أنا عشته ليك زمانى كله
حبيبى قول للدنيا معايا — ولكل قلب .. بدقته حس
يا دنيا حبى .. وحبى .. وحبى — والعمر هو الحب..وبس
واسقينى واملا واسقينى تانى — من الحب .. منك - من نور زمانى
اسقينى باللى من يوم ما شفتك — حسيت كأنى اتخلقت تانى

ولقد شهدت هذه الأغنية أيضًا اعتراضات طفيفة من جانب أم كلثوم والتى سرعان ما واجهها الشاعر أحمد شفيق كامل .. فقد اعترضت سيدة القصيدة العربية على شطر من هذه الأغنية والذى يقول فيه أحمد شفيق كامل:

إنت بالنسبة لى روحى ونور حياتى

يا حبيبى إيه أنا بالنسبة لك

فتم تغييره إلى:

إنت روحى وكل عمرى ونور حياتى

يا حياتى إيه أنا بالنسبة لك

كما اعترضت أم كلثوم على ألفاظ البيت الذى سبق هذا البيت والذى قال فيه الشاعر:

الهوى العطشان فى قلبى بيندهلك

يا أرق من نسمة وأرق من ملك

ولولا تدخل الدكتورحسن الحفناوى الذى احتكم إليه الشاعر لتغير هذا البيت أيضا!!

***

وكانت أغنية «ليلة حب» آخر ما غنت أم كلثوم لشاعرنا أحمد شفيق كامل، وهى الأغنية التى لحنها الموسيقار محمد عبد الوهاب وغنتها أم كلثوم فى موسم عام ١٩٧٢!

وهى التى يقول مطلعها:

ياللى عمرك ما خلفت مبعاد فى عمرك

الليلة دى غبت ليه - حيرنى أمرك

أخـــــــرك إيـــــــه عـــــــنـــــــى

مـــســـتـــحـــيـــل الـــدنـــيـــا عـــنـــى .. تـــأخـــرك

بـــــالأمـــــل مـــــســـــتـــــنـــــى

ســـهـــران .. تـجـيـنـى.. يـــا حـيـانـى .. واســهـرك

تعالى .. حب العمر كله.. نخلصه حب الليلة دى

تعالى .. شوق العمر كله .. تعيشه مر القلب.. الليلة دى

مـــا تـــخـــلـــيـــش أشـــواقـــنـــا لـــبـــكـــرة

مـــا تـــخـــلـــيـــش فـــرحـــتـــنـــا لـــبـــكـــرة

كـأن أول لـيـلـة لـلـحـب .. الـلـيـلـة دى!

ويبدو أن أم كلثوم قد استسلمت لطلبات الشاعر أحمد شفيق كامل فلم تصر هذه المرة على إحداث أى نوع من التغيير ! وربما فى ذلك قد أخذت بوجهة نظره باعتباره صاحب الكلمات، أو ربما أعطته هذه المرة الفرصة لكى يتحمل وحده مسئولية الأغنية بلا تعديل.. وبالتالى فقد خرجت أغنية «ليلة حب» خالية من أية تعديلات! وعلى غير العادة!!

***

واستكمالاً لذلك المشوار الذى قطعناه سوياً فوق هذه الأوراق، كان علينا أن نشير إلى لمحات مضيئة فى حياة الشاعر أحمد شفيق كامل منذ ميلاده وكيفية احترافه الشعر وكتابة الأغنية .

وكعادة الشعراء المشهورين، فقد حفلت قصص حياتهم بالعديد من ألوان التكريم فى معظم الكتابات الصحفية والنقدية والتى كانت تتواكب مع إذاعة كل عمل جديد، وهذا الشاعر المجدد ولد فى ٤ نوفمبر من عام ١٩٢٣ وتخرج فى كلية التجارة جامعة القاهرة فى عام ١٩٤٨ .. ثم حصل على دبلوم معهد الضرائب عام ١٩٥١ ، ولذلك كان أول عمل له فى مصلحة الضرائب، حيث استمر به ثمانى سنوات، ثم التحق بالعمل فى مكتب الدكتور عبد المنعم القيسونى فى أيام الوحدة حتى عام ١٩٦٦ .

كما التحق بعد ذلك بسلك التمثيل التجارى، فعمل مستشاراً تجاريًا لسفارتنا بالسعودية من عام ١٩٦٨ حتى عام ١٩٧٢ ، ثم من عام ١٩٧٥ حتى سنة ١٩٧٨ ، وانتقل إلى أنقرة واسطنبول رئيساً للمكتبين التجاريين هناك.. إلى أن عاد نهائياً فى أوائل عام ١٩٨٤ ، ثم أحيل إلى المعاش، واستقر بمنزله ٤ شارع الدكتور حندوسة أمام قصر العينى الجديد بجاردن سيتى يكتب فيه أشعاره وأغانيه..

وأخذ أحمد شفيق كامل يبرز كشاعر للوطنيات، فكتب أول ما كتب نشيد «قولوا لمصر تغنى معايا فى عيد تحريرها» ثم كتب «الوطن الأكبر» كما كتب أغنية «حكاية شعب» لكى تغنى فى عيد وضع حجر الأساس للسد العالى عام ١٩٦٠ .

٦ عبد الفتاح مصطفى

رائد الأغنية الوطنية والعاطفية

الشاعر الراحل الكبير عبد الفتاح مصطفى شأنه شأن الكثير من الشعراء المصريين من الذين ارتبطوا فى الأذهان.. بالأغنية المصرية الحديثة.. من حيث أن بدايته مع الشعر كانت مع الفصحى، وقد كتب بها العشرات من القصائد خاصة فى بداية مشواره الأدبى .. حتى أن إحدى هذه القصائد التى نشرها فى الصحف فى عام ١٩٤٧، وهو لا يزال طالباً بالمرحلة الثانوية.. كانت سبيله للتعامل مع الإذاعة من خلال المطربين والملحنين!

ومما يحكيه هو فى هذا السياق.. أن قصيدته الطويلة التى نشرها آنذاك، كان قد قرأها أحد المسئولين بالإذاعة، فاقترح عليه أن يبعثها إلى المسئولين بهذا الجهاز الإعلامى الكبير فاستدعوه وطلبوا منه كتابة مجموعة من القصائد، تم اختيار إحداها ليلحنها له الموسيقار محمد عبد الوهاب، وكانت بعنوان: «عروس النيل».

ولم يكتف عبد الفتاح مصطفى آنذاك بكتابة هذه النوعية من القصائد، بل كتب للإذاعة العديد من الصور الغنائية المشهورة مثل أوبريت «عوف الأصيل» و «عذراء الربيع».

ولا شك أن كل هذه التجارب الإبداعية لم تكن ببعيدة عن فكر فنانة عظيمة مثل أم كلثوم التى بدأت تتجه أنظارها إلى كلمات أغنياته وبالتالى بحثت جديًا فى التعامل معه، ولقد أثمر هذا التعامل عن خروج أجمل اثنتى عشرة أغنية وطنية وعاطفية ألفها عبدالفتاح مصطفى لأم كلثوم .. فى الفترة من يوليو عام ١٩٥٧ وحتى عام ١٩٦٧..

والملاحظ أن تعامل أم كلثوم مع كلمات هذا الشاعر الكبير قد بدأت مع الأغنية الوطنية عندما غنت له أغنيته أو نشيد «إنا فدائيون» والتى كتبها عبد الفتاح مصطفى باللغة العربية.. كما انتهت كذلك بالأغنية الوطنية عندما غنت له أغنية «طوف وشوف» فى عام ١٩٦٧.

إنها قصة شاعر مصرى حديث.. جرب ألوانًا شتى من الأدب.. مع أنه قد اشتهر فى

مجال الأغنية، سواء بالنسبة لما كتبه لأم كلثوم أو لغيرها من الفنانين، رغم أن هذه الشهرة قد ازدادت مساحتها عندما عرفت كلمات أغانيه طريقها الصحيح نحو حنجرة سيدة القصيدة العربية.

ففى شهر يوليو من عام ١٩٥٧ غنت أم كلثوم نشيد «إنا فدائيون» من ألحان الموسيقار بليغ حمدى والذى كان فى هذه الفترة يتحسس هو الآخر طريقه الفنى .. بعدما لحن لغير أم كلثوم .. لقد أراد بذلك أن يدخل بنفسه فى دائرة الشهرة. وتصادف أن يدخل معه فى التوقيت نفسه الشاعر عبد الفتاح مصطفى، وكانت قصيدة أو نشيد «إنا فدائيون» هى الأرض الخصبة التى التقيا فوقها.. محرزين بذلك صك الشهرة من خلال صوت أم كلثوم!

وتقول كلمات هذا النشيد:

كشف النقاب عن الوجوه الغادرة
وحقيقة الشيطان بانت سافرة
إنا فدائيون نفنى ولا نهون إنا لمنتصرون
سقط النقاب عن الوجوه الغادرة
فلنضربن بكل كف قادرة
ولنرمين بكل روح هادرة
إنا فدائيون نفنى ولا نهون إنا لمنتصرون
لا لا تفاهم.. لا هوادة فى القتال
لا ولا بترول.. بعده ولا قتال
تعون مليونًا - زحفنا للنضال
إنا فدائيون نفنى ولا نهون إنا لمنتصرون
لا يا عدوى لا نصيراً لعدوى
لا لن نرى بحرى ولا أرضى ولا جوى
لا بل سأمضى وانتصارانى ندوى
إنا فدائيون نفنى ولا نهون إنا لمنتصرون

ويشير كتاب أغنيات أم كلثوم فى الهامش أن كلمة «كشف النقاب» كانت فى الأصل كما كتبها عبد الفتاح مصطفى كلمة «سقط النقاب»!

***

وبعد أن شدت أم كلثوم بهذا النشيد .. رجعت واختارت مرة أخرى أغنية وطنية من تأليف شاعرنا الراحل عبد الفتاح مصطفى .. وهى بعنوان: «منصورة يا ثورة أحرار» من تلحين رياض السنباطى..

ويبدو أن هذه الأغنية قد جاءت فى سياق اهتمام أم كلثوم بالجانب الوطنى الذى قررت سلوكه بعد ثورة يوليو، وفى ضوء المحن العديدة التى مرت بها مصر بعد قيام هذه الثورة!.

وتقول كلمات هذه الأغنية الوطنية:

منصورة يا ثورة أحرار منصورة ع الاستعمار
مهما دبر ربنا أكبر ولا تحرقش المؤمن نار
منصورة يا ثورة أحرار
الاستعمار له ألف خيانة دبرها والمولى حمانا
نلنا آمالنا وخلدنا قنالنا واتوحدنا وسوريا معانا
وآدى طريقنا نور ونهار
منصورة يا ثورة أحرار
ثورة يوليو ثورة قوية قونها روحها العربية
من أيامنا من أحلامنا من أشواقنا للحرية
وآدى طريقنا نور ونهار
منصورة يا ثورة أحرار
منصورة ويحميها الناصر اللى وهبنا عبد الناصر
جنب زعيمنا نمحى غريمنا مهما يهاجم ولا يحاصر
يعلا الحق ولا ينهار
منصورة يا ثورة أحرار

وواضح من سياق كلمات هذه الأغنية.. أن الشاعر أراد بها أن يشارك هو الآخر زملائه من الشعراء ومن الفنانين فى زفة تحية الثورة وزعيمها.. حفاظاً على البقاء وعلى الاستمرارية أيضاً!

***

ويتوالى فيض هذا الشاعر الذى أراد بكلماته أن يعبر عما كانت تمر به مصر خلال فترة الخمسينيات، حيث وجد فى حنجرة أم كلثوم خير موصل لهذه المعانى التى فرضت نفسها على الجميع.. وبات الناس يرددونها فى الشوارع بمناسبة، وبغير مناسبة، فقدم لأم كلثوم أغنيته الوطنية الثالثة.. «ثوار» من تلحين رياض السنباطى، وكانت من أشهر ما غنته أم كلثوم فى سلسلة أغنياتها الوطنية على الإطلاق.. حتى اعتقد الناس وبعض المؤرخين والنقاد أنها من تأليف الشاعر صلاح جاهين !!

ولقد قرأت ذلك فى أكثر من كتاب.. وربما خلطوا فى ذلك بين ما كان يقدمه صلاح جاهين من كلمات مشابهة لكل من أم كلثوم وعبد الحليم حافظ وبين ما كان يكتبه شاعرنا عبد الفتاح مصطفى.

ويقول مطلع هذه الأغنية:

ثـــوار.. ولآخـــر مـــدى ثـــوار　　مـطـرح مـا نمـشـى يـفـتـح الـنـوار
نـنـهـض فى كـل صباح بـحـلـم جـديـد　　ثـوار نـعـيـدك يـا انـتـصـار ونـزيـد

وطـول مـا إيـد شـعـب الـعـرب فـى الإيـد
الـثـورة قـايـمـة والـكـفـاح دوار!

وبعد أن تغنت أم كلثوم بكلمات الشاعر عبد الفتاح مصطفى .. خاصة أغنيته المشهورة «ثوار» واصلت مشوارها الفنى معه .. على درب الأغنية الوطنية نفسه.. فغنت له بعد ذلك خمس أغنيات على قدر عال من الأهمية فنياً ووطنيًا! وهذه الأغنيات بالترتيب الزمنى هى: «الزعيم والثورة» فى عام ١٩٦٣ من تلحين رياض السنباطى ـ «يا صوت بلدنا» فى عام ١٩٦٤ من تلحين محمد الموجى ـ «يا حبنا الكبير» فى عام ١٩٦٥ ـ من ألحان رياض السنباطى ، وكذلك أغنية « يا سلام على الأمة» فى عام ١٩٦٥ أيضاً.

ويختتم عبد الفتاح مصطفى إنتاجه المتميز فى مجال الأغنية الوطنية، فقدم لأم كلثوم

أغنيته المتميزة أيضًا «طوف بجنة ربنا» . فى عام ١٩٦٧ ، وهى من تلحين رياض السنباطى، ويكون بذلك العدد الإجمالى لكل ما غنته أم كلثوم من أشعار عبدالفتاح مصطفى .. خاصة فى مجال الأغنية الوطنية ثمانى أغنيات من أصل ١٢ أغنية هى كل ما غنته أم كلثوم لعبد الفتاح مصطفى على مدى عشر سنوات..

***

وعلى الرغم من أن سيدة القصيدة العربية قد تغنت بكلمات هذا الشاعر فى مجال الأغنية الوطنية خلال سنوات ١٩٥٧ ,١٩٥٨ ، ١٩٦١ . ١٩٦٣ و١٩٦٤ و١٩٦٥ .. إلا أنها لم تنس أبدًا أنه كان من الشعراء المصريين المعاصرين الذين كان لهم باع طويل ودراية واسعة بالأحاسيس الإنسانية والمشاعر العاطفية الفياضة..

وقد تجلى ذلك بوضوح فى كلمات الأغنيات العاطفية الثلاث والتى كتبها عبد الفتاح مصطفى لأم كلثوم.. وهى أغنية : «لسه فاكر قلبى يديلك أمان» فى عام ١٩٦٣ من ألحان رياض السنباطى والأغنية الشهيرة: «ليلى ونهارى» التى تغنت بها أم كلثوم فى عام ١٩٦٥ ، ورائعته الأخيرة لأم كلثوم «أقول لك إيه عن الشوق يا حبيبى».. فى العام نفسه ومن تلحين رياض السنباطى أيضًا.

***

ولأجل أن نثبت براعة هذا الشاعر الذى أثرى فن الأغنية بأكثر من شكل فنى من أشكالها، خاصة الشكل العاطفى، رأينا من الضرورى أن نسوق نموذجًا واحدًا مما كتبه لأم كلثوم، وهى أغنيته الأخيرة «أقول لك إيه» والتى شدت بها أم كلثوم فى عام ١٩٦٥!

وهذه الأغنية تقول كلماتها:

أقول لك إيه عن الشوق يا حبيبى ... أقولك إيه وميين غيرك دارى بى
ليالى فى هواك أسهر وافكر ... ومهما قلت لك فى القلب أكتر
شوية إنى أقولك يا حبيبى ... يا ريت فيه كلمة أكتر من حبيبى

***

أقولك إيه وإيه يوصف هوايا ... وأنا فى قلبى كلام مالوش نهاية
دى أجمل كلمة فى الدنيا حبيبى ... بقولها لك وبرضه موش كفاية

ماقولش منايه كان حبك ... ده أكتر مر اللى بتمناه
ومر الفرحة وأنا جنبك ... باعيش فى كل لحظة حياة
وقلبى نعيمه فى قربك ... وانت فرحته ودنياه
وأقول لك إيه ... شويه إنى أقولك يا حبيبى

***

يا ريت فيه كلمة أكتر من حبيبى ... هواك هو اللى خلى العمر غالى
وبالثانية أحسبه موش بالليالى ... واخاف أسرح تفوتنى لحة منك
ومر الدنيا اللى أجمل من خيالى ... هواك نسى الزمان طبعه

***

وخد منه الأمان لبنا ... ودارى عننا دمعه
وخلاه ما درى بينا ... ونور للأمل شمعه
وطمن بيه ليالينا ... وأقول لك إيه
شويه إنى أقولك يا حبيبى ... يا ريت فيه كلمة أكتر من حبيبى

***

وعودك فى الخيال غالية على ... وأجمل من حقيقة بين إيديا
واصدق كل كلمة قلتها لى ... وأكدب فى هواك نفسى وعينيه
يا ريت فيه كلمة أوصف بيها حبك ... وأقولها لك ما بين قلبى وقلبك
ما يقدرش الكلام يوصف غرامى ... ولا أشواقى فى بعدك وقربك
وأقولك إيه؟!

***

وأمام هذا العطاء المتميز الذى قدمه الشاعر عبد الفتاح مصطفى لفن الشعر بصفة عامة ولفن الأغنية بصفة خاصة بات له علينا حق كبير فى إلقاء بعض الأضواء على قبس من نور حياته التى قضاها فى محراب الأدب مختتمًا رحلته فى عالم التصوف الجميل.

فقد ولد الشاعر عبد الفتاح مصطفى بحى الجمالية بالقاهرة مع مطلع عام ١٩٢٤، ووالده هو الشيخ مصطفى الغمراوى العالم الأزهرى المرموق.. الذى رحل وهو فى سن مبكرة، حيث تولت والدته تربية ابنها الوليد تربية دينية وثقافية..

والتحق الطفل عبد الفتاح مصطفى فى المدارس الحكومية مثل بقية أقرانه، وبعد المرحلة الثانوية التحق بكلية الحقوق التى تخرج منها فى عام ١٩٥٢ ، ومع حصوله على هذا الدبلوم العالى بدأ يتجه إلى الكتابة الدينية، فكتب مجموعة من القصائد والأغانى الدينية . وقد بدأ مرحلة جديدة فى حياته الأدبية عندما أقنعته سيدة القصيدة العربية أم كلثوم لكى يكتب الأغنية العاطفية .

التحق عبد الفتاح مصطفى للعمل فى بداية حياته رئيساً لمأمورية الشهر العقارى بالقاهرة والجيزة، ثم انتقل بعد ذلك للعمل فى المؤسسة المصرية العامة للإسكان مستشاراً قانونياً .. فى بداية الستينيات.. كما شغل كذلك مهنة التدريس بالجامعة عندما عين أستاذاً زائراً فى كلية الإعلام جامعة القاهرة، وكتب عبد الفتاح مصطفى أولى أعماله الإبداعية وهو فى سن الخامسة عشرة.. وظل عطاؤه الأدبى مستمراً فى العديد من الألوان الأدبية والإذاعية، حتى رحل عن عالمنا فى فجر يوم الجمعة الموافق ١٣ يوليو من عام ١٩٨٤ بمستشفى القلب بإمبابة.

٧ عبد الوهاب محمد

وحب إيه اللي انت جاي تقول عليه؟!

فى مطلع حديث الموسيقار الراحل بليغ حمدى عن أحد لقاءاته الثرية مع أم كلثوم.. أخبرنا عن بداية ذلك التعارف الذى تم بين شاعرنا الراحل عبد الوهاب محمد وأم كلثوم! هذا التعارف الذى أثمر عن عشرات الأعمال الغنائية الجميلة التى كتبها عبد الوهاب محمد.

وما ذكره بليغ حمدى فى الحديث ذاته.. يوضح لنا كيف التقى هذا الشاعر المرهف الأحاسيس بأم كلثوم، وكيف بدأ ذلك اللقاء بأعظم ما غنت أم كلثوم من كلمات عندما قالت: «حب إيه اللى انت جاى تقول عليه»!

ومما ذكره بليغ حمدى فى هذا السياق قوله: «المرحوم محمد فوزى كان من أعز أصدقائى، وقد أنشأ شركة تسجيلات واسطوانات باسم «مصرفون»، وتعاقد مع عدد من المطربين والمطربات لتسجيل إنتاجهم على اسطوانات، وفى مقدمتهم السيدة أم كلثوم!..

وبرغم الصداقة التى تربط بينى وبين محمد فوزى، إلا أنه لم يبلغنى بتعاقده مع أم كلثوم، وفى الوقت نفسه، كان الشاعر عبد الوهاب محمد مهندسًا يعمل فى شركة «شل»، وقد أسمعنى أغنية ألفها هى: «حب إيه اللى انت جاى تقول عليه». وأعجبنى كلامها جداً.. فلحنت مطلعها وأخذت أردده فى المجالس التى تضمنى مع عدد من الزملاء الفنانين.. وتصادف فى تلك الأيام أن جاءنى الصديق محمد فوزى ودعانى إلى سهرة فى بيت الدكتور زكى سويدان، وقال لى إن السيدة أم كلثوم ستكون فى الحفلة، وأسرع محمد فوزى يطلب منى أن أسمعها أغنية «حب إيه» وكان المرحوم أنور منسى قد حفظ اللحن جيداً منى فى سهراتنا الخاصة، ولم أتردد، فمضيت لها واستعادت اللحن مرة أخرى ومرتين وثلاثة، وطربت له وسألتنى: لماذا لم أكمل اللحن؟ فأجبتها بأننى لم أجد سبباً للاستعجال.. وهنا طلبت منى أن أفوت عليها بكرة! وهكذا كان».

ولقد حكى بليغ حمدى بقية تفاصيل هذا اللقاء.. الذى انتهى بطلب سيدة القصيدة العربية أن تتعرف كاتب هذه الأبيات..

ومن يومها .. صار بينهما تعاون .. بدأ بأغنية «حب إيه» التى غنتها أم كلثوم فى مطلع عام ١٩٦٠ ، وانتهى بأغنية «حكم علينا الهوى» فى عام ١٩٧٣ .

وكل من اللقاءين الأول والأخير وضع ألحانهما بليغ حمدى مع أن أم كلثوم قد أشركت كل الملحنين التى كانت تتعامل معهم آنذاك فى وضع الألحان لأغانى الشاعرعبد الوهاب محمد.. مما يدل دلالة كبيرة على اقتناعها ببراعته فى صياغة الكلمات خاصة العاطفية منها!

***

معنى ذلك أن فترة التعامل زمنيًا بين كل من عبد الوهاب محمد وأم كلثوم قد امتدت لأكثر من عشر سنوات!.. ولقد أثمر خلالها هذا التعاون ثمانى أغنيات، سبع منها عاطفية وواحدة وطنية بعنوان «قوم بإيمان وبروح وضمير» من تلحين رياض السنباطى..

ولسوف نشير إلى هذه الأغنية بتفاصيل أكثر لما لها من أهمية تاريخية..حيث ارتبطت بحادث الهزيمة الشهير فى عام ١٩٦٧ !.

***

وحين نعود للحديث المفصل عن أهم لقاءات شاعرنا الراحل عبد الوهاب محمد مع سيدة القصيدة العربية من خلال كلمات أغنياته الخاصة العاطفية.. كان لابدلنا وأن نتوقف كثيرًا أمام كلمات أغنية «حب إيه» .. نظرًا لكونها علامة بارزة من علامات مسيرة الفن فى حياة أم كلثوم .. سواء من حيث رقة الكلمات أو عبقرية الألحان.. ولسوف نشعر نحن بذلك عندما تقرأ هذه الكلمات .. أو نستمع إليها من صوت كوكب الشرق أم كلثوم..

وتقول كلمات هذه الأغنية:

حب إيه اللى انت جاى تقول عليه إنت عارف قبلا معنى الحب إيه؟
لما تنكلم عليه

إنت ما بينك وبين الحب دنيا دنيا ما تطولها ولا حتى بخيالك

أما نفس الحب عندى حاجة تانية ... حاجة أغلى من حياتى ومن جمالك
إنت فين والحب فين ... ظالمه ليه دايمًا معاك
ده انت لو حبيت يومين ... كان هواك خلاك ملاك
ليه بتتجنى كده ع الحب ليه ... إنت عارف قبلا معنى الحب إيه

لما نتكلم عليه
حب إيه اللى انت جاى تقول عليه

كنت باخلص لك فى حبى بكل قلبى ... وانت بتخون الوداد من كل قلبك.
بعت ودى.. بعت حبى .. بعت قلبى ... بعتنى وفاكرنى ليه اشتاق لقربك
إنت فين والحب فين ... ظالمه ليه دايمًا معاك
ده انت لو حبيت يومين ... كان هواك خلاك ملاك
ليه بتتجنى كده ع الحب ليه ... إنت عارف قبلا معنى الحب إيه

لما نتكلم عليه
حب إيه اللى انت جاى تقول عليه

***

ياما طول عمرى رضيت منك أسية ... لما داب أملى وأنا بتمنى ودك
كل شكوى كنت بتشوفها فى عنيه ... وانت فى قربك ناسينى زى بعدك
إنت فين والحب فين ... ظالمه ليه دايما معاك
ده انت لو حبيت يومين ... كان هواك خلاك ملاك
إنت عارف قبلا معنى الحب ريه ... لما نتكلم عليه؟

حب إيه اللى انت جاى تقول عليه

***

وقد غنت أم كلثوم هذه الأغنية يوم الخميس أول ديسمبر من عام ١٩٦٠ .. ونظراً لما تركته من تأثير طيب على جماهيرها العريضة .. فقد طلبت من ملحنها الجديد آنذاك أن يكتب لها الشاعر عبد الوهاب محمد المزيد من إنتاجه وليس بالضرورة أن يلحنه بليغ حمدى!.

وفعلاً وخلال عام أو أكثر.. قدم عبد الوهاب محمد لسيدة القصيدة العربية أغنيته الثانية «حسيبك للزمن» وقد تصدى لوضع ألحانها الموسيقار رياض السنباطى.

وهذه الأغنية يقول مطلعها:

ح اسيبك للزمن ... لا عتاب ولا شجن
تفاسى مر الندم ... وتعرف الألم
تشكى مش ح اسأل عليك ... تبكى مش ح رحم عنيك
يالللى مرحمتش عنيه ... لما كان قلبى فى إيديك

ثم عاودت أم كلثوم تعاونها مع الثنائى عبد الوهاب محمد شاعراً وبليغ حمدى ملحناً فى رائعة عبد الوهاب محمد الثالثة «أنا وانت ظلمنا ا لحب» وقد غنتها أم كلثوم تقريباً فى نفس العام الذى غنت فيه أغنيتها «ح سيبك للزمن» أى فى عام ١٩٦٢ أيضاً.

وكلمات الأغنية الجديدة يقول مطلعها:

أنا وانت.. ظلمنا الحب ... ظلمنا الحب بايدينا
وجينا عليه وجرحناه ... لحد ما داب حوالينا
ما حدش منا كان عايز ... يكون أرحم من التانى

ولا يضحى عن التانى
وضاع الحب.. ما بين عند قلب وقلب
ضاع الحب .. ودلوقت لا أنا بانساه
ولا بتنساه .. ولا بنلقاه أنا وانت

***

وظل عطاء الشاعر عبد الوهاب محمد متألقًا.. ومتجاوبًا مع الحنجرة الذهبية لسيدة القصيدة العربية .. حتى دخل الموسيقار الكبير محمد عبد الوهاب دائرة الاهتمام بكلمات شاعرنا الراحل.. إذ اختار أن يلحن له رائعة جديدة بعنوان «فكروني» ، وكان ذلك فى عام ١٩٦٦ ، مواصلاً فيها إبداعاته اللغوية.. ومستندًا على عود موسيقار الأجيال.. وبتعبير صوت كوكب الشرق.

وما نود أن نشير إليه فى هذا السياق من قبل الإشارة لبقية مسيرة هذا الشاعر مع صوت أم كلثوم.. أن العديد مما كتبه قد تعرض للعديد من التعديل والتبديل، بل وكان من أكثر الشعراء الصاغرين لآراء أم كلثوم فيما كانت تطلبه من تعديلات ، حتى قيل إنه فعلاً كان من أكثر الشعراء تجاوبًا مع متطلبات صوت أم كلثوم .. سواء ما تقترحه هى بنفسها أو ما يقترحه الملحنون أو الأصدقاء!

***

ورغم اجتياز الشاعر عبد الوهاب محمد اختبار الأغنية العاطفية بنجاح غير مسبوق.. وبشهادة الجماهير والخبراء خاصة مع سيدة القصيدة العربية .. إلا أنه قد نجح أيضًا فى مجال الاختبار الوطنى .. عندما طلبوا منه أن يساهم هو الاخر مع زملائه من الشعراء فى رفع المعاناة النفسية التى مر بها الشعب المصرى وزعيمه على إثر هزيمة عام ١٩٦٧..

ولقد كتب عبد الوهاب محمد أغنيته الشهيرة «قوم بإيمان» مناشدًا عبد الناصر شخصيًا .. لكى يستعيد عافيته التى دمرتها القوات الإسرائيلية على أرض سيناء فى ٥ يونية! وقد تصدى لتلحين هذه الأغنية الموسيقار رياض السنباطى ، وفيها يقول الشاعر عبد الوهاب محمد:

قوم بإيمان وبروح وضمير ... دوس على كل الصعب وسير
حق بلادك وحده عليك ... عايز منك سعى كتير

دوس على كل الصعب وسير

أدى لعملك جهد زيادة والإخلاص لعملنا عبادة
قوم بإيمان وبروح وضمير دوس على كل الصعب وسير
ابنى وزود من أمجادك ابنى لوطنك ولأولادك
فكر.. إبحث.. إزرع.. إصنع كل مجاهد ح ينول أمله
ربنا موش ح يضيع أبداً أجر مكافح يتقن عمله
إخلق.. جدد.. إنتج.. صدر خلى بلادك تقوى وتكبر
قوم بإيمان وبروح وضمير دوس على كل الصعب وسير
ياللى بنيت الهرم قبل الزمان بزمان وبنيت لنا فى عصرنا السد فى أسوان
كمل مجد الوطن وابنى كمان وكمان خلى الأمل بالعمل يصبح وجود
وانت مفيش يا بطل معدنك إنسان
قوم بإيمان وبروح وضمير دوس على كل الصعب وسير
كلنا جند فى كل ميدان هنا وهناك فى أى مكان
الزارع ويا الصناع أهل العلم مع الفنان
زى مالينا حقوق مشروعة ندى وطنا حقوقه كمان

***

وعلى أثر ذلك النجاح الذى حققه عبد الوهاب محمد فى مجال الأغنية الوطنية أيضاً ومشاركته الفعالة فى الترويح عما كان جاثماً من هموم فوق الصدور.. بعد هزيمة يونية عام ١٩٦٧ .. قررت أم كلثوم مواصلة التعاون فنياً مع عبد الوهاب محمد. ليس فى مجال الأغنية الوطنية بل التواصل معاً فى مجال الأغنية العاطفية !.

ولذلك نراها قد أسندت تلحين كلمات أغنية عبد الوهاب محمد الجديدة «إسأل روحك» للموسيقار محمد الموجى .. وقد شدت بها أم كلثوم يوم الخميس الموافق أول يناير عام ١٩٧٠ .

وبعد عامين.. أى فى عام ١٩٧٣ .. غنت سيدة القصيدة العربية آخر أغنيات عبد الوهاب محمد .. «حكم علينا الهوى» وقد فضلت هذه المرة أن يلحنها الموسيقار بليغ حمدى الذى بدأ مع كلمات هذا الشاعر منذ أكثر من عشر سنوات.

وتكريماً لذكرى هذا الشاعر نسوق مقطعين فقط من هذه الأغنية .. نظراً لموقعها الجغرافى فوق خريطة أعمال سيدة القصيدة العربية التى كانت هى الأخرى قد قاربت على الرحيل، وقد فارقت دنيانا بعد تاريخ هذه الأغنية بعامين فقط!!

ويقول الشاعر الراحل عبد الوهاب محمد فى مطلع أغنيته الأخيرة لأم كلثوم والتى غنتها بعنوان «حكم علينا الهوى»

حكم علينا الهوى نعشق سوا يا عين
واحنا اللى قبل الهوى شوف كنت فين وأنا فين

وآه يا ليل آه.. ع الوعد والمقسوم
يا ليل يا عينى آه.. ع الوعد والمقسوم

***

لا نخوشه .. لأ .. ولا آه ما بين عيون وقلوب
حكم علينا الهوى نعشق سوا ونذوب
صدق اللى قال الهوى فوق الجبين مكتوب

السعد وعد يا عين والاسم نظرة عين
وأنا وانت روح مغرمة كان حظها من السما
واتجمعوا قلبين
وآه يا سلام ع الهوى آه يا سلام سلم
خلانا من قلبنا بالفرحة نتكلم
وآه يا ليلى آه ع الوعد والمقسوم
يا ليل يا عينى آه ع الوعد والمقسوم
لا نخوشه لأ .. ولا آه ما بين عيون وقلوب
حكم علينا الهوى نعشق سوا ونذوب
صدق اللى قال الهوى فوق الجبين مكتوب

***

وبعد أن ذاع صيت الشاعر عبد الوهاب محمد .. حيث أخذ المطربون في مصر وفي البلاد العربية يقبلون على كلمات أغانيه، ولما لا .. فهو صاحب الرصيد المحترم من كلمات العاطفة الجياشة التي شدت بها أم كلثوم..

ولقد ظل هذا الشاعر في عطاء أدبي مستمر حتى وفاته المنية في عام ١٩٩٦ ! عن عمر يناهز السادسة والستين ، تاركاً وراءه رصيداً كبيراً من الأغاني بلغ على حد قول جريدة الأهرام ألف أغنية.

والشاعر عبد الوهاب محمد من مواليد ٧ نوفمبر عام ١٩٣٠ بحي الأزهر بالقاهرة، وكان أبوه من رجال الأزهر.. وكتب عبد الوهاب محمد أول أغنياته في عام ١٩٥١ وغنتها له الفنانة الراحلة فايزة أحمد وهي أغنية «ما تحبنيش بالشكل ده» .

وكما هو معروف فقد بدأ الشاعر حياته العملية موظفاً بشركة مصر للبترول . وظل بها إلى أن تفرغ لأدب، ولم يتوقف نشاطه عند حدود كتابة الأغنية للمطربين.. بل وشارك في كتابة أغاني العديد من المسرحيات المشهورة مثل «ريا وسكينة» و«سيدتي الجميلة» والعديد من المسلسلات التليفزيونية.

٨ مرسى جميل عزيز

آخر شعراء أم كلثوم

لعلها المصادفة وحدها، هى التى دبرت أن يكون الشاعر الكبير مرسى جميل عزيز آخر الشعراء الذين تعاملت معهم أم كلثوم من قبل رحيلها فى عام ١٩٧٥ ! وهو بذلك يقف جنبًا إلى جنب مع الشاعر أحمد رامى أول الشعراء الذين تعاملت معهم سيدة القصيدة العربية فى مطلع العشرينيات من القرن العشرين! ونقصد هنا شعراء العصر الحديث.

فقد كتب مرسى جميل عزيز لأم كلثوم ثلاث أغنيات هى «سيرة الحب» فى عام ١٩٦٤ من تلحين الموسيقار الراحل بليغ حمدى .. كما لحن له نفس الموسيقار بقية ما كتبه لأم كلثوم وهما أغنيتى «فات الميعاد» فى عام ١٩٦٧ و«ألف ليلة وليلة» فى عام ١٩٦٩ !.

ويقول مجدى العمروسى فى إحدى مقالاته التى نشرها بمجلة الكواكب تحت عنوان «حكايات فنية» عن بداية لقاء مرسى جميل عزيز بأم كلثوم : «طلب الأستاذ بليغ حمدى من الأستاذ مرسى جميل عزيز أن يكتب له أغنية لكى تغنيها كوكب الشرق أم كلثوم فكتب مرسى أغنية «سيرة الحب» وكان مطلعها من أجمل ما يكون ووافقت عليه أم كلثوم فعلاً.. وقد لحنها بليغ حمدى» (١).

وتقول كلمات هذه الأغنية:

طول عمرى باخاف مر الحب وسيرة الحب وظلم الحب لكل اصحابه
واعرف حكايات مليانة آهات ودموع وأنين والعاشقين دابوا ما تابوا
طول عمرى باقول لا أنا قد الشوق ولياللى الشوق ولا قلبى قد عذابه
وقابلتك إنت لقيتك بتغير كل حياتى
ما اعرفش إزاى حبيتك ما اعرفش إزاى يا حياتى
من همسة حب لقيتنى باحب وأدوب فى الحب وصبح وليل على بابه

(١) الكواكب فى ١٣/٧/١٩٩٩.

فات من عمرى سنين وسنين ... شفت كتير وقليل عاشقين
اللى بيشكى حاله لحاله ... واللى بيبكى على موالـه

أهل الحب صحيح مساكين

ياما الحب ندهٔ على قلبى ... ما ردش قلبى جواب
ياما الشوق حاول يحايلنى ... وأقول له روح يا عذاب
ياما عيون شغلونى ... لكن ولا شغلونى
إلا عيونك إنت ... دول بس اللى خدونى

ويحبك أمرونى

أمرونى أحب لقيتنى باحب .. وأدوب فى الحب .. وصبح وليل على بابه

ياللى ظلمتوا الحب وقلتوا ... وعدتوا عليه مش عارف إيه
العيب فيكم ياف حبايبكم ... أما الحب يا روحى عليه
فى الدنيا ما فيش أبدا ... أحلى من الحب
نتعب نغلب نشتكى منه ... لكن بنحب
يا سلام الحب وتنهيدهٔ ... فى وصال وفراق
وشموع الشوق لما يقيدوا ... ليل المشتاق
يا سلام الدنيا وحلاوتها ... فى عين العشاق

وأنا خدنى الحب لقيتينى باحب.. وأدوب فى الحب.. وصبح وليل على بابه

ياللى مليت بالحب حياتى ... أهدى حياتى إليك
روحى.. قلبى .. عقلى .. حبى ... كلى ملك إيديك
صوتك .. نظراتك همساتك ... شىء مش معقول

شىء خلى الدنيا زهور على طول وشموع على طول

الله يا حبيبى على ... حبك وهنايا معاه
ولا دمعة عين جرحت ... قلبى ولا قولة آه
ما بقولش فى حبك غير ... الله الله الله

وانا خدنى الحب لقيتينى باحب .. وأدوب فى الحب .. وصبح وليل على بابه

وقد غنت أم كلثوم هذه الأغنية فى يناير من عام ١٩٦٤ .

وبعد مرور ثلاث سنوات تقريبًا على اللقاء الأول بين مرسى جميل عزيز وأم كلثوم تكرر نفس اللقاء مع ألحان بليغ حمدى فى عام ١٩٦٧ .. حين اختارت أم كلثوم أغنية ثانية له بعنوان : «فات الميعاد» ، ولا أعرف ماذا كان يقصد مرسى جميل عزيز من وراء هذه الأغنية والتى غنتها سيدة القصيدة العربية قبل وقوع نكسة يونية بأكثر من شهرين فقط!

فربما كان مرسى جميل عزيز يشعر بفوات المواعيد واقتراب الكوارث وان كان قد استبدل كلمات السياسة بكلمات الحب.

ولله فى خلقه خاصة من الشعراء شجون .. وشئون .. فهم أكثر الناس استشفافا للمستقبل بحلوه ومره!

ففى يوم الخميس ٢ فبراير من عام ١٩٦٧ . وقفت أم كلثوم تشدو وتقول:

فات الميعاد وبقينا بعاد ... والنار بقت دخان ورماد
تفيد بايه يا ندم ... وتعمل إيه يا عتاب
طالت ليالى الألم ... وانفرقوا الأحباب
وكفاية بقى تعذيب وشقا ... ودموع فى فراق ودموع فى لقا

تعتب عليا ليه أنا بإيديا إيه.. فات الميعاد

إننى أكاد أجزم وفق تصور خاص لما أكتبه .. أن هذه الأغنية العاطفية والتى تحدث فيها مرسى جميل عزيز عن الفراق والنار والدخان وعن الندم وفوات المواعيد .. كان يستشعر من خلالها بأحاسيسه بعض ومضات المستقبل المظلم الذى أهل علينا بالهزيمة بعد شهرين فقط .. من فات الميعاد!

ولنستمع له حين يقول فى ختام هذه الأغنية:

الليل ودقة الساعات ... تصحى الليل
الليل وحرقة الآهات ... فى عز الليل
وقسوة التنهيد والوحدة والنسهيد ... لسه ماهمش بعيد
وعايزنا نرجع زى زمان ... قول للزمان ارجع يا زمان
وهات لى قلب لا داب ولا حب ... ولا انجرح ولا شاف حرمان
تفيد بايه يا ندم ... وتعمل إيه يا عتاب
تعتب عليا ليه ... أنا بايديا إيه

فات الميعاد

***

بل وأكثر من ذلك تنبأ مرسى جميل عزيز فى هذا الختام بما سوف نقاسيه من الغدر والهجر وقسوة الدنيا .. فقال:

من ناري من طول ليالى ... من فرحة العزال فى
من قسوتك وانت حبيبى ... وقسوة الدنيا علي
بينى وبينك هجروغدر ... وجرح فى قلبى درايته
بينى وبينك ليل وفراق ... وطريق انت اللى بديته
نفيد بايه يا ندم ... وتعمل إيه يا عتاب
تعتب عليه ليه ... أنا بايديه إيه
فات الميعاد

***

وفى عام ١٩٦٩ غنت سيدة القصيدة العربية آخر أغنيات شاعرنا الراحل مرسى جميل عزيز وهى بعنوان «ألف ليلة وليلة» .. من ألحان بليغ حمدى أيضاً .. وفى مطلعها يقول الشاعر:

يا حبيبى.. الليل وسماه ... ونجومه وقمره وسهره
وانت وأنا.. يا حبيبى أنا ... يا حبيباتى أنا
كلنا .. كلنا .. فى الحب سوا ... والهوى.. آه منه الهوى
سهران الهوا.. يسقينا الهنا ... ويقول بالهنا.. يا حبيبى
يالله نعيش فى عيون الليل!

وتعتبر أغنية «ألف ليلة» من أطول ما كتب مرسى جميل عزيز. ولذلك فنحن نعتبرها كالمونولوج الذى بُنى على حوار افترضه المؤلف بينه وبين محبوبته.. مستغلاً براعته فى اختيار الكلمات السهلة والتى تدخل فى القلب مباشرة حتى من غير موسيقى .. ولعلنا نكتشف ذلك بسهولة حين نقرأ كلمات هذه الأغنية بدون موسيقى !. ولقد وجد فيها الموسيقار بليغ حمدى بغيته لكى يكمل مشوار التجديد فى حياة أم كلثوم، والذى بدأه عندما لحن أغنية مرسى جميل عزيز «سيرة الحب».

***

وشاعرنا المجدد مرسى جميل عزيز اسمه بالكامل مرسى جميل مرسى عزيز.. ومن

مواليد يوم ٩ يونية عام ١٩٢١ بمدينة الزقازيق محافظة الشرقية ووالده هو الحاج جميل مرسى من كبار تجار الفاكهة.

وخلال دراسته فى المرحلتين الابتدائية والثانوية، بدأت هوايته لكتابه الشعر تظهر بعد أن حفظ الكثير من آيات الله البينات، والمعلقات السبع..

وكانت أولى قصائده التى كتبها بالفصحى نظمها وهو فى سن مبكرة فى رثاء أحد أساتذته، دخل مرسى جميل عزيز كلية الحقوق بعد الانتهاء من دراسته الثانوية، وفى الجامعة بدأ يمارس هواية الموسيقى والتصوير بجانب الشعر.. وفى عام ١٩٣٩ أذيعت له أول أغنية فى الإذاعة من تأليفه وعمره ثمانية عشرة عامًا وهى قصيدة «الفراشة» من تلحين رياض السنباطى.

وبعد ثلاثة أشهر حقق نجاحًا ملحوظًا عندما غنى له عبد العزيز محمود أغنية «يا مذوق يا ورد فى عود» ثم أخذ إنتاجه الأدبى بعد ذلك يرى طريقه إلى النور والى أصوات المطربين المشهورين آنذاك.

والعجيب أن هذا الشاعر قد امتدت شهرته كمؤلف أغان خارج حدود مصر.. عندما غنت له الفنانة اللبنانية فيروز من تلحين الأخوان رحبانى.. وهى أغنية أو قصيدة «سوف أحيا»، وكما وجدت كلمات هذا الشاعر صداها الطيب داخل حنجرة العندليب الأسمر عبد الحليم حافظ.. الذى غنى له أولى أغنياته المشهورة «فى يوم فى شهر فى سنة».

وعندما أنشئ معهد السينما فى عام ١٩٦٣ كان مرسى جميل عزيز شاعر الأغانى الوحيد الذى التحق بالمعهد وحصل على دبلوم فى كتابة السيناريو، فقد كان إلى جانب إتقانه الشعر يكتب القصة والمعالجات السينمائية والبرامج الغنائية.

كرمته الدولة فمنحته وسام الجمهورية للآداب والفنون فى عام ١٩٦٥ كرائد للأغنية الشعبية والوطنية وكفارس للأغنية العاطفية.

توفى مرسى جميل عزيز فى يوم ٩ فبراير عام ١٩٨٠ على إثر إصابته بمرض خطير سافر بسببه إلى الولايات المتحدة الأمريكية للعلاج وبعد فترة علاج فى المستشفيات هناك عاد ليموت فوق ترب الأرض التى فتحت ذراعيها لكل إنتاجه الأدبى الذى لا يزال يعيد للأذهان أيام الفن والحب الجميل.

٩ عبد المنعم السباعى

أروح لمين وأقول يا مين؟!

يعتبر الشاعر عبد المنعم السباعى.. من شعراء أم كلثوم الذين اشتغلوا بمهنة صاحبة الجلالة الصحافة.. وبذلك فقد انضم إلى ثلاثة شعراء آخرين من الذين كتبوا لأم كلثوم، وهم بترتيب التعامل: بيرم التونسى ومأمون الشناوى وصلاح جاهين.

أقول ذلك رغم معرفتى من خلال بعض المعلومات.. أن شاعرنا عبد المنعم السباعى قد بدأ حياته العملية كرجل حرب، بل وأكثر من ذلك فقد شارك فى ثورة ١٩٥٢ من خلال وجوده داخل تنظيم الضباط الأحرار، وهو من هذه الزاوية يعتبر من أوائل شعراء أم كلثوم الذين كتبوا لها بصفتهم العسكرية.. مثل الشاعر طاهر أبو فاشا.

***

وكنت أحسب حتى فترة قصيرة ـ وهذا تقصير حقيقى من جانبى ـ أن الشاعر عبدالمنعم السباعى لم يكتب إلا لأم كلثوم فقط، وقد صاحب هذا التصور القاصر! سؤال ظل يتردد بين جنبات صدرى حتى وقت قريب .. وهو: هل يكتب لأم كلثوم شاعر أو أديب مغمور؟! وهى التى تعاملت مع أساطين الشعراء فى الأدب العربى القديم والحديث؟!

وبعد أن عرفت قيمة ومقدار ومكانة عبد المنعم السباعى .. سقط هذا السؤال فى بئر عميق مظلم، وحل محله ما سوف نتلوه حالاً عن هذا الشاعر الكبير، صاحب أرق ما غنت أم كلثوم من أشعار عذبة وجذابة فى فترة الخمسينيات من القرن الماضى «القرن العشرين».

***

ففى أواخر عام ١٩٥٧.. خرجت علينا صحف هذه الأيام بخبر عن اختيار أم كلثوم لكلمات أغنية جديدة سوف يضع لها الألحان الموسيقار رياض السنباطى، وهى بعنوان «أروح لمين» من تأليف الشاعر عبد المنعم السباعى.. أحد الضباط الأحرار فى ثورة يوليو عام ١٩٥٢!

وظل الناس يتساءلون عن أعمال هذا الشاعر الذى شدت بكلماته حناجر كثيرة غير حنجرة أم كلثوم .. وتصوروه ضابط جيش فقط، ولكن سرعان ما ظهرت موهبة

عبدالمنعم السباعى من خلال عدة أغنيات عاطفية ووطنية تغنى بها مطربون من غير أم كلثوم .. وكان على رأسهم آنذاك الموسيقار محمد عبد الوهاب .

ولسوف يتضح لنا مشوار هذا الشاعر الكبير من خلال ما سوف نتلوه من كلمات تقترب كثيراً من سيرة حياته الذاتية .. بعد ما نسوق قصته مع أم كلثوم .. وكلمات أغنيته الجميلة «أروح لمين» والتى تقول فيها:

أروح لمـــيـــن وأقـــول يـا مـيـن يـنـصـفـنـى مـنـك
مـا هـو انـت فـرحـى وانـت جـرحـى وكـلـه مـنـك
أروح لمـــيـــن

كـلـمـة ونـظرة عـيـن والـقـسـمـة وبـاهـر جـمـعـوا سـوا قـلـبـيـن والحـب مـنـاهـر
وبـيـن لـيـتـنـى المـنـى خـدنـى الـهـوى وبـاه وكـان وصـالـك هـنـا وكـنـت بـاتـمـنـاه
وبـعـد حـبـى شـغـلـت قـلـبـى وقـسـيـت عـلـيـه
وكـان مـنـايـا بـدوم هـنـايـا مـادمـش لـيـه
لـوعـنـى حـبـك والـيـوم فـى بـعـدك بـيـفـوت سـنـيـن
أروح لمـــيـــن

يـطـول بـعـدك .. وأعـيـش بـعـدك عـلـى شـوقـى وأشـجـانـى
مـا بـيـن مـاضـى .. مـا هـوش راضـى يـنـسـيـنـى ويـنـسـانـى
وبـيـن حـاضـر مـا هـوش قـادر يـسـلـيـنـى فـى حـرمـانـى
وأبـات أنـعـى .. أنـا ودمـعـى وأخـبـى دمـع الـعـيـن
وادارى مر الـلايـمـيـن لا يـلـمـحـوا عـنـيـه ويـشـمـتـوا فـىّ
ولحـد إمـتـى حـتـبـقـى إنـت والـشـمـتـانـيـن
أروح لمـــيـــن

أروح لمـيـن ومـيـن يـرحـم آسـايـا وأقـول يـا مـيـن ومـيـن يـسـمـع نـدايـا

طـول مـا انـت غـايـب مـا لـيـش حـبـايـب فـى الـدنـيـا ديـه
والـفـكـر سـارح والـهـجـر جـارح يـا نـور عـيـنـيـه
شـوف دمـعـى جـارى سـهـران فـى نـارى ولا أنـت دارى بـالـسـهـرانـيـن
أروح لمـــيـــن

***

ورغم عذوبة كلمات أغنية «أروح لمين» التى تألقت فى الشدو بها أم كلثوم فى موسم عام ١٩٥٨ .. إلا أنها وللأسف لم تختر أغنيات أخرى للشاعر عبد المنعم السباعى خاصة وأن له شاعرية خاصة وعالم مفعم بالعاطفة الجياشة، وربما انشغل شاعرنا فى مهامه الكثيرة والتى ألقيت على عاتقه بعد قيام الثورة، وخاصة فى فترة الستينيات.

وأيضًا الحديث المفصل عن مشوار حياته سواء قبل الجيش أو بعده ربما يوضح لنا بجلاء هذه الحقيقة!

***

ولد الشاعر والأديب والصحفى وضابط الجيش عبد المنعم محمد السباعى فى مدينة طنطا عام ١٩١٨ .. وبعد أن أنهى تعليمه الابتدائى والثانوى فى هذه المدينة التحق بالكلية الحربية وتخرج منها فى عام ١٩٤٨ ، وقد امتدت حياته بيننا قرابة ستين عامًا إذ رحل عن عالمنا فى ٩ يناير من عام ١٩٧٨ .

عمل عبد المنعم السباعى رغم ارتباطه بالجيش محررًا فى مجلة روز اليوسف قبل نشوب حرب ١٩٤٨ .. وعندما قامت ثورة يوليو عام ١٩٥٢ شارك فيها من خلال تنظيم الضباط الأحرار.

ونظرًا لارتباطه بالإعلام منذ فترة مبكرة من حياته فقد أسند إليه زملاؤه فى مجلس قيادة الثورة منصب الإشراف على الإذاعة المصرية من خلال مكتب الشكاوى.. كما أسندوا إليه رتبة أركان حرب الإذاعة !

ولقد ظل بهذا المنصب لمدة ثلاث سنوات، انتقل بعدها للعمل صحفيًا بجريدة الجمهورية والتى ظل بها من منتصف الخمسينيات وحتى توفاه الله. وقد ارتبط اسمه فى هذه الجريدة بالباب العاطفى المشهور «قلوب حائرة» والذى كان ينشره فى الجريدة نفسها. كما عمل الشاعر عبد المنعم السباعى فى صحف مصرية أخرى منها روز اليوسف والإذاعة والشعب.

ورغم ارتباط هذا الشاعر الكبير بالعديد من الأغنيات العاطفية والوطنية، فقد مارس ألوانًا عديدة من الكتابات الأدبية منها كتابة برامج درامية وتمثليات إذاعية.. كما كتب

فيلماً سينمائياً مشهوراً للفنان الراحل إسماعيل ياسين، وهو فيلم «إسماعيل ياسين فى الجيش» وفيلماً آخر بعنوان «طريق الأبطال».

ويقول الكاتب الصحفى أبو المجد الحريرى فى مقال له بجريدة الجمهورية.. أن عبدالمنعم السباعى بعد ما غادر هذه الدنيا اكتشف أصدقاؤه أنه كتب أكثر من مائة أغنية عاطفية وخمسين أغنية وطنية .. كما غنى له كل من الموسيقار محمد عبد الوهاب رائعته : أنا والعذاب وهواك . وعبد الحليم حافظ أغنية « لايق عليك الخال» .. ونجاة الصغيرة أغنية «يا هاجر بحبك».

[تم بحمد الله]

المراجـــع:

أولا: [دواوين الشعر]

١ - ديوان: أبو فراس الحمدانى - طبعة حديثة.

٢ - ديوان: ابن النبيه المصرى - طبعة قديمة - دار الكتب.

٣ - ديوان: الشريف الرضى - طبعة حديثة وأخرى قديمة.

٤ - رباعيات الخيام - ترجمة أحمد رامى.

٥ - ديوان: العباس بن الأحنف - طبعة قديمة وجديدة.

٦ - ديوان: صفى الدين الحلىّ.

٧ - ديوان: الشاب الظريف - نسخة قديمة.

٨ - ديوان: محروم.. وحى الحرمان - الأمير عبد الله الفيصل ـ دار المعارف عام ١٩٥٤.

٩ - ديوان: حديث قلب للشاعر الأمير عبد الله الفيصل.

١٠ - ديوان: كوخ الأشواق - تأليف الشاعر السودانى الهادى آدم.

١١ - الأعمال الكاملة للشاعر نزار قبانى - كل دواوين الشعر.

١٢ - الأعمال الكاملة للشاعر الكويتى أحمد العدوانى - من إصدارات مؤسسة البابطين الثقافية.

١٣ - أجنحة عاصفة - أحمدالعدوانى.

١٤ - إيوان إقبال - لمحمد إقبال - ترجمة الشيخ الصاوى شعلان.

١٥ - ديوان: صلصلة الجرس. تأليف د. محمد إقبال.

١٦ - الشوقيات المجهولة والمعلومة - أحمد شوقى.

١٧ - ديوان: حافظ إبراهيم.

١٨ - ديوان: على الجارم.

١٩ - ديوان: عزيز أباظة.

٢٠- ديوان: ليالى القاهرة - تأليف د. إبراهيم ناجى.
٢١- أغانى الحرية - محمود حسن إسماعيل .
٢٢- ديوان: صالح جودت . - الأعمال الكاملة.
٢٣- ديوان: طاهر أبو فاشا - الأعمال الكاملة.
٢٤- الأشواك - تأليف طاهر أبو فاشا.
٢٥- لا تكذبى - ديوان من تأليف كامل الشناوى .
٢٦- ديوان: محمد الأسمر - عام ١٩٥٢ .
٢٧- تغريدات الصباح - محمد الأسمر ١٩٥٠ .
٢٨- ديوان: الشبراوى - تأليف الشيخ عبد الله الشبراوى.
٢٩- ديوان: الماحى - محمد مصطفى الماحى.
٣٠- قال الشاعر - ديوان لأحمد فتحى.
٣١- الأعمال الكاملة لأشعار صلاح جاهين.

ثانيا [الكتب والموسوعات]

١- أم كلثوم - الدكتورة رتيبة الحفنى.
٢- تراث الغناء العربى - كمال النجمى.
٣- شعراء العصر العباسى الثانى- الدكتور شوقى ضيف.
٤- شخصيات مشهورة ومغمورة - د. جمال الدين الرمادى.
٥- يتيمة الدهر - الثعالبى.
٦- وفيات الأعيان- لابن خلكان.
٧- الأدب فى العصر الأيوبى - د. محمد زغلول سلام.
٨- كتاب مفرج الكروب - لابن واصل.
٩- الشريف الرضى - حياته وشعره - إعداد جعفر نور الدين.
١٠- أم كلثوم وعصر من الفن - د. نعمات أحمد فؤاد .

١١ - التيار الإسلامى فى شعر العصر العباسى الأول - د. مجاهد بهجت.
١٢ - مروج الذهب - للمسعودى.
١٣ - الأغانى لابى فرج الأصفهانى.
١٤ - الشعراء الصعاليك فى العصر العباسى الأول - د. حسين عطوان.
١٥ - قصة الأدب فى مصر - د. عبد المنعم خفاجى.
١٦ - الرواية : سلامة القس - تأليف على أحمد باكثير - صدرت عام ١٩٤٤.
١٧ - قضايا حول الشعر - الدكتور عبده بدوى.
١٨ - من أدباء الإسلام المعاصرين - على الجمبلاطى.
١٩ - العدوانى، كاتباً ورائداً - صدقى خطاب - مؤسسة البابطين.
٢٠ - موسوعة شعراء العرب الحديثة - مؤسسة البابطين الثقافية.
٢١ - العقل والتنوير فى الفكر العربى الحديث -د. عاطف العراقى.
٢٢ - أحمد شوقى - تأليف ماجد حسن فهمى.
٢٣ - ملوك وصعاليك - صالح جودت.
٢٤ - أعلام الفكر والأدب - أنور الجندى.
٢٥ - المجمعيون فى خمسين عاماً - د. محمد مهدى علام.
٢٦ - حديقة الأدباء - طاهر الطناحى.
٢٧ - هذا الرجل من مصر - لمعى المطيعى.
٢٨ - دائرة المعارف الأدبية.
٢٩ - شعراء الوطنية فى مصر - عبد الرحمن الرافعى.
٣٠ - أدباء لا تغرب عنهم الشمس - فتحى رزق.
٣١ - صالح جودت الإنسان والشاعر - د. فوزى عطوى.
٣٢ - تاريخ مصر يكتبه أهل الفن - حنفى المحلاوى.
٣٣ - الأزهر فى ألف عام - سنية قراعة.

٣٤- اعترافات شاعر الكرنك - محمد رضوان - كتاب المواهب.
٣٥- شاعر الكرنك - صالح جودت.
٣٦- مذكرات بديع خيرى - إعداد وتعليق إبراهيم حلمى.
٣٧- الموسيقى الشرقية - كامل الخلعى.
٣٨- الموسيقى الشرقية والغناء العربى - قسطندى رزق.
٣٩- صلاح جاهين من ١٩٣٠ - ١٩٨٦ - أحمد زيادة.

ثالثا: [الدوريات والصحف]

١- أخبار الأدب.
٢- جريدة الجمهورية .
٣- جريدة الأهرام .
٤- جريدة الحياة اللندنية.
٥-الكواكب.
٦- مجلة أخر ساعة.
٧- مجلة الجديد.
٨- أخبار اليوم.
٩- أخبار النجوم.

رقم الإيداع ٢٠٠٠/١١٢٣٣

الشركة الدولية للطباعة

المنطقة الصناعية الثانية - قطعة ١٣٩ - شارع ٣٩ - مدينة ٦ أكتوبر

☎ : ٣٣٨٢٤٠ - ٣٣٨٢٤١ - ٠١١/٣٣٨٢٤٢

e-mail: pic@6oct.ie-eg.com